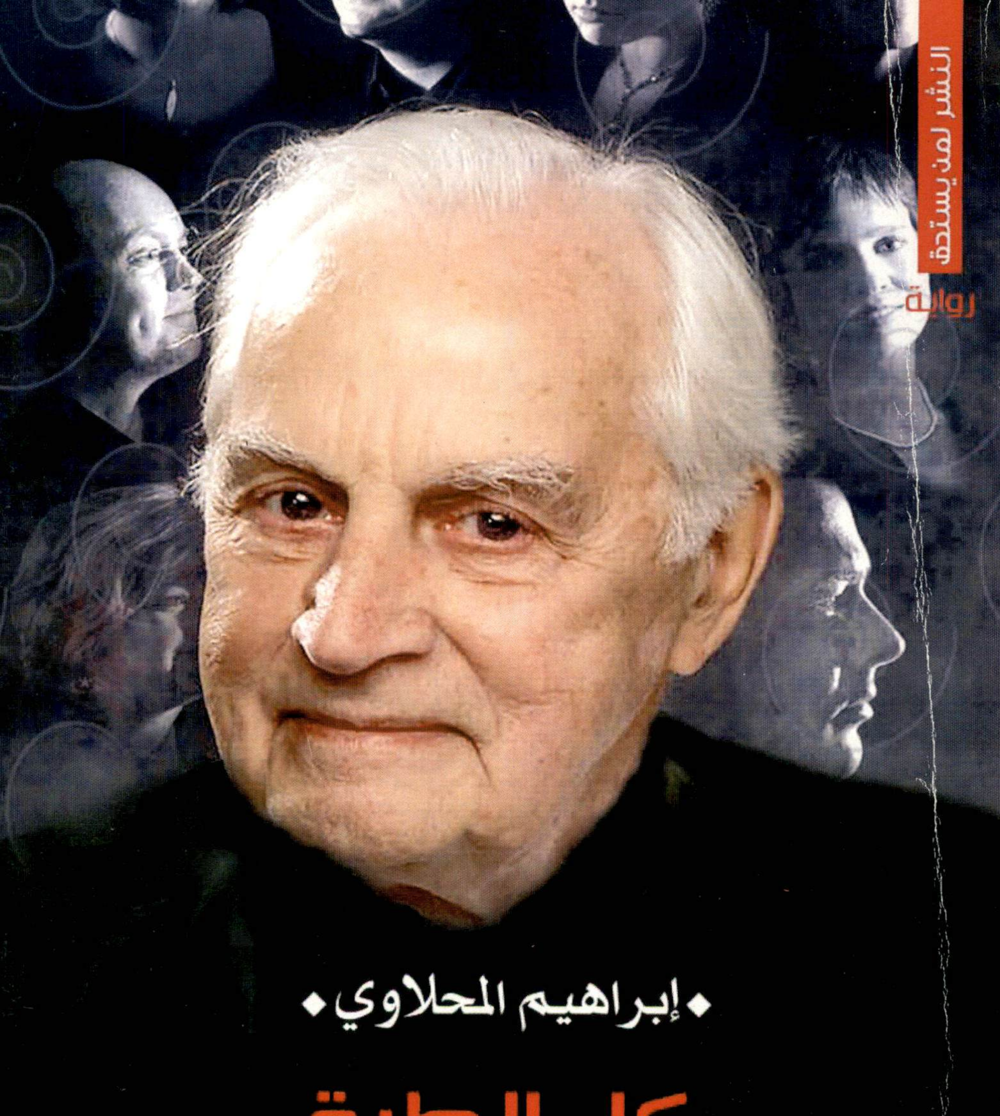



إبراهيم المحلاوي

# كل الطرق تدل على يوسف

كيان كورنر
دار ليلى

إبراهيم المحلاوي

# "كل الطرق تدل على يوسف"

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:
كل الطرق تدل على يوسف
المؤلف:
إبراهيم المحلاوي
الغلاف:
محمد محمود
الإخراج الفني:
حسام سليمان
التدقيق اللغوي:
محمد عبد الغفار
★★★
إدارة التوزيع:
عبد الله شلبي
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

النشر لمن يستحق
مبادرة الحلم كاتب

رقم الإيداع: 2012 / 11335



الترقيم الدولي: 6-30-5238-977-978

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)
البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

إبراهيم المحلاوي

# "كل الطرق تدل على يوسف"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



# مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد عن 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) والذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منها كتابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب – خاصة بعد ثورة يناير العظيمة– وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها – الناشر والقارئ – على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت – وبشدة– اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها – كما عهدتموها– بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائجها، على رأسها:

– توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

– تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب، حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

– تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

– توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصري، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى عز وجل أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثير من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع، ستصبح – مثل سابقيها– بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

**الناشر**

*«اغفري لي انتمائي..*

*إلى..*

*هامش يحترق»..*

***محمود درويش***

* * *

*«المرء لا يعود أبدًا..*

*المرء يرحل فقط»..*

***تحرير السماوي***

* * *



إلى:

إبراهيم

و

إبرا



# إشارة

هذه الرواية أساسها الخيال.. لكن هناك وقائع وأحداثًا حقيقية تتضمنها الرواية، نُشرت في الصحف والمواقع المصرية والعربية.. مع شيء من التصرف.



*«للحقيقة وجوه كثيرة.. أحدها كاذب»..*



## - ٥ -

إنني أعترف..

أعترف بأنه كان خطئي..

خطئي الأكثر بشاعة في حياتي الطويلة..

معظم الجرائم بطبيعة الحال تتسم بالغباء والوحشية والعبثية التي تبعث علي الأسى..

لكني سأقول..

وسأعترف بجميع أخطائي وما اقترفه الفؤاد من الأماني..

سأقول هذا حتى لو كان بلا جدوى..

كل القنابل كانت جاهزة للانفجار..

إلا أنه تم إبطال مفعولها بصمت..

أعتقد أن الحقيقة هي الشيء الصحيح..

لذلك.. لا توجد حقيقة.. بل عدة حقائق..

لا توجد حقيقة.. بل الفعل هو الحقيقة..

سأقول هذا حتى لو كان بلا جدوى..



## -1-

*في الحلم..*

*راودتني عن نفسي.. فاستسلمت لها!!*

* * *

استيقظت على قطرات العرق المنساب من جسدي من أثر حرارة يوليو.. كانت ثيابي مبللة من نتاج الحلم والعرق.. أسندت ظهري إلى مقدمة السرير.. ابتسمت وشعرت بسعادة جديدة تغمرني من ومضات الرؤية.. فلم يكن هناك مفر.. فرائحة عطرها ما زالت تسكن أنفي، أتذكرها كلما اصطدمت عيني بصورتها المعلقة أمامي.. *صوفيا.. عيناك الملیئتان بالحياة أبهرتاني، أسرَتاني من الوهلة الأولي.. بذات ظهيرة في ندوة الحزب الأسبوعية، اخترت ذلك المكان لأطلب يدك للزواج.. هل تذكرين؟ أجل أعرف أنك تتذكرين ذلك جيدًا.. صوفيا.. عيناك المليئتان*

*بالحياة والحب والبراءة والسحر ما زلت في اشتياق لرؤيتهما.. منذ رحلتِ عني وأنا في اشتياق إليكِ.. لا أحد يكسر وحدتي غيركِ..*

أغمضت عيني وتنهدت ثم قمت من مرقدي أشعر بالصداع يدب في منتصف رأسي.. *لقد عانيت صداعات مزمنة طوال حياتي، جربت كل العقاقير المكنة، لكن لا فائدة.. سرت متثاقلا.. الآن أنا أقوم بعلاج صيني.. إبر رفيعة أضعها باستدارة وجهي كانت تُشعرني بالراحة ولكن ليس كثيرًا..* مضيت في غير مبالاة بالكرسي الذي اصطدمت به..

دخلت الحمام.. وهناك غمرت وجهي بالقليل من الماء ثم نزعت ملابسي وتمددت عاريًا داخل البانيو الممتلئ بالماء ورغاوي الصابون.. استرخيت وشعرت بالراحة تدب في أطرافي وتذكرت قطي الصغير «سام». كان قطًا ودودًا، وديعًا، يمتلك عينًا سماوية وأخرى ذهبية.. لكنه مات.. ألقى بنفسه من شرفة المنزل وسقط على الأرض وتهشم رأسه وأضلاعه.. كان صديقي في وحدتي.. حزنت عليه لبعض الوقت لكني نسيته سريعًا في صخب الحياة الذي لا ينقطع... والآن أتذكره.. اعتقدت لفترة كبيرة أن القطط تجلب الحظ.. لكني كنت مخطئًا حيال ذلك.. لا يوجد شيء على وجه هذه الأرض يأتي بالحظ.. لكن هناك الكثير الذي يأتي بالنحس..

أحكمت رباط البُرنس حول خصري وسرت حافيًا متجهًا نحو

المطبخ.. ألقيت بقرصين من الفوار في نصف كوبين من الماء وانتظرت قليلاً حتى ذابا.. ثم تناولت كلاً منهما على حدة دفعة واحدة..

سرت إلى دولاب ملابسي، اخترت بدلة رمادية اللون.. ارتديتها وأنا أشعر ببعض التحسن.. فقد انخفضت حدة الصداع قليلاً.. عدت مرة أخرى إلى المطبخ.. بحثت عن علبة البن فلم أجدها فصرفت نظرًا عن صناعة فنجان قهوة وخرجت..

دلفت إلى مشغل الأسطوانات وأدرت سيمفونية غرناطة..

♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♫ ♪ ♬ ♫ ♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♫ ♪ ♬ ♫ ♬ ♫ ♪ ♬ ♫
♪ ♭ ♩ ♪..

التقطت الجريدة من تحت عقب الباب واستلقيت على ظهري على أريكة (chaise longu) كُسيت بقماش القطن المنقوش..

نشرت الجريدة أمامي.. أتفحص أخبارها المتكررة.. لا جديد في العناوين مع اختلاف الأشخاص.. إلى أن تسمرت عيناي.. كان النعي بارزًا.. لقد مات واليوم عزاؤه.. كان صديقًا قديمًا لم ألتقِه من زمن بعيد.. أخيرًا ارتاح من صخب هذا العالم.. لكني قلت لنفسي متحسرًا:

«ما أطول عمري هذا! أليس مخجلاً أن يعيش المرء أكثر من

أصدقائه؟! ها هو الموت قد اقتنصه.. وأنا...».

جذبني رنين جرس الباب.. قمت وفتحت.. كانت سيدة في منتصف العمر يبدو عليها الهم، بادرتها بقولي:

– كيف أستطيع مساعدتك؟

– حضرتك السيد يوسف؟

أومأت برأسي بالإيجاب فحاولت أن ترسم ابتسامة خافتة على شفتيها وهي تقول:

– أنا مريم.. خادمتك الجديدة.

– أهلا بكِ..

أزحت الباب وأشرت إليها أن تدخل قائلاً:

– تفضلي..

تخطت عتبة الباب وهي محدقة إلى الأسفل.. كنت حائرًا لا اعرف ماذا أقول لها فصمتُ قليلاً وعيناي تدوران في فضاء السقف ثم هبط السؤال عليَّ فقلت لها بلا مقدمات:

– هل عملتِ من قبلُ؟

فقالت بنبرة هادئة:

- لا.. هذه أول مرة.. لقد شرح لي مكتب الوظائف طبيعة عملي وما الذي عليَّ فعله..

- وماذا كنت تصنعين قبل ذلك؟

فقالت بمرارة:

- لا شيء.. لا شيء..

فتساءلت متصنعًا عدم الاهتمام:

- هل تستطيعين أن تصنعي لي فنجان قهوة؟

أومأت برأسها بالإيجاب.. وقلت منبهًا:

- لقد بحثت عن البن في الصباح ولم أجده..

- لا تقلق.. سأتصرف..

أشرت لها إلى طريق المطبخ فتتبعته..

عُدت إلى كنبة «الشيزلونج» أستكمل تصفح الجريدة إلى أن شعرت بالضجر، أطبقتها ووضعتها بجواري ورحت أتأمل نجف السقف شارد الذهن..

*«شبح الموت ها هو يخيم عليَّ، ويقترب أكثر من ذي قبل.. سيأتي الموت حتمًا في اللحظة التي لا أرغب فيها في الحياة.. أتمنى أن يكون*

*رحيمًا بي.. من في مثل سني لا يتحمل عذابات سكراته.. من في مثل سني يفضل أن يفاجئه ملاك الموت دون سابق إنذار».*

أغمضت عيني برهة ثم فتحتها على صوت ضميري الساخط:

*«ما الذي سيتذكرونه بشأنك حضرة المحترم؟ هل سيكتب أحدهم عنك كلمة جيدة؟ هل يكتبون سيرتك الذاتية في كتاب أو فيلم سينمائي؟ صدقني لا أنوي أن أخدش شخصيتك البليدة وأسلوبك العملي الرتيب.. فهذا ليس جريمة.. سؤالي فقط: ما الذي سيتذكرونه بشأنك؟»..*

أفقت من مونولوجي الداخلي على صوتها الهامس:

– تفضل..

اعتدلت في قعدتي وأنا أتناول منها فنجان القهوة، أرتشف منه رشفة ثم هززت رأسي متلذذًا بمذاقها:

– جيدة.. يا لكِ من بارعة.. هل تجيدين الطهي أيضًا بالبراعة نفسها؟

فقالت بخجل:

– ماذا تحب أن تتناول على الغداء؟

فكرت قليلاً فلم أعرف إجابة لسؤالها.. فقلت:

- أي شيء.. هل هذا ممكن؟

- تحت أمرك..

حنت مقدمة جسدها قليلاً وهي تقول:

- بعد إذنك..

هززت رأسي فانصرفت إلى حجرة المطبخ.. ورحت أستكمل فنجاني وقد بدأ الصداع يدب مرة أخرى، يزلزل رأسي ببطء.. ولم أجد القدرة على مواصله التفكير في شيء..

أنهيت فنجاني ووضعته على المنضدة الصغيرة القائمة بجواري..

وجدت راحة كبيرة في ضم ساقي إلى الخلف وأنا مستلقٍ ثم غفوت قليلاً.. استيقظت على صوت شيء ثقيل يسقط في المطبخ فقمت مسرعًا إلى هناك فوجدتها ملقى بها على الأرض فاقدة الوعي.. ♪ ♬ ♫ ♪♫ ♬ ♫ ♪ ♭ ♩ ♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♫♪ ♬ ♫ ♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♫♪ ♬ ♫..

* * *

## - II -

كان الوقت مملاً.. قرابة الساعات الأربع وأنا أجلس بجوارها بعدما أتى الطبيب وأوصى ببقائها في الفراش.. حقنها بعقار مخدر وقال لي إنها تعاني اضطرابات في دقات القلب.. شعرت بالشفقة حيالها ورسم الواجب عليّ أن أبقى جالسًا بجوارها..

أحدق في وجهها الذي يبدو لي بشوشًا أكثر من ذي قبل.. كم تمنيت حينها أن أشكل لها تمثالاً يحمل هذه الملامح الملائكية.. كان يعجبني أنفها الصغير ولا أعرف لما تخيلته يكبر مثل «بينكيوا»، ابتسمت لنفسي وأخذني التفكير والتأمل فيها إلى أن غفوت ساعة أو ساعتين ورأيت حلم البارحة نفسه يتكرر بكل تفاصيله: «*من بعيد.. كانت هناك حركة مجهولة حافلة بالغموض في الفضاء الأبيض.. أطياف بشرية تتحرك حولي أو تتهادى وهي تتداخل وتتمازج وشيئًا فشيئًا*

*ظهرت أمي من بعيد وهي جالسة على عرش مذهب يحمله اثنان عرفت فيما بعد أنهما من الملائكة.. هبطا بها أمامي.. كانت تفتح ذراعيها لي فارتميت بداخلهما وغمرني حنانها ورائحة أنفاسها الدافئة وتساءلت مندهشًا:*

*- أين أنا؟ وأين ذهبتِ؟*

*فقالت وهي تربت على ظهري:*

*- أنا في الجنة..*

*- هل هذه هي الجنة؟! هل سأبقى معكِ؟*

*- عندما يشاء الله يا بني.. لا تستعجل..*

*- لكني لا أستطيع العيش دونك..*

*فقالت والدموع في عينيها:*

*- لكنك يجب أن تستكمل زرع أشجارك اليافعة.. يجب أن تكون أنت...»..*

استيقظت على صوت أقدام تسير في الردهة.. كانت مريم.. قمت واتجهت إليها.. وجدتها واقفة في المطبخ تعد العشاء فقلت لها:

- كيف حالك الآن؟

– أحمد الله.. أعتذر لك عمّا حدث.. لقد أفسدت حياتك وأقلقت راحتك من أول يوم.. أنا آسفة..

قالت جملتها الأولى والحزن يرتسم على وجهها المحدق في الفراغ.

ابتسمت لها وأنا أقترب منها وأشير إلى شعرها قائلاً:

– أفردي شعرك.. ستكونين أكثر جمالاً..

ودارت ارتباكها بابتسامة فاترة..

فقلت فيما يشبه الحياء:

– لقد قال الطبيب إنك بحاجة إلى الراحة وأنا أتفق معه.. وجهك ما زال شاحبًا.. فلتذهبي إلى البيت.. هناك سيكون أفضل لكِ..

فقالت بحزم:

– عليَّ أن أنهي عملي أولاً..

– لا داعي للعناد مع المرض فهو أيضًا عنيد.. العناد يخسرنا أشياءَ كثيرة..

– أين أضع لك العشاء؟

– هنا..

فلم تفهم.. فأكملت:

- سأتناول الطعام معكِ..

- لكن..

- قضي الأمر.. أنا ذاهب إلى الحمام أغسل يدي!!

تركتها وعلامات الدهشة مرتسمة على وجهها الشاحب.. وعندما عدت كانت تضع الأطباق على الطاولة فسحبت كرسيًا وجلست.. وعندما انتهت من تحضير الطعام أشرت لها بالجلوس فحدقت في الأرض وجلست:

- رائحة الطعام رائعة.. منذ فترة ليست بالقصيرة لم أستنشق مثل هذا..

قلت جملتي الأخيرة وأنا أشير بطرف سبابتي إلى أطباق الطعام.

- شكرًا لك.. هذا لطف منك..

- أعتقد أن هذه أول مرة تقدمين فيها الطعام لغريب!

فتساءلت مندهشة:

- ماذا تقصد؟!

فأوضحت:

– لماذا لجأتِ إلى العمل؟

– الحياة دائمًا تفرض أشياءَ لم تكن تخطر على بالنا.. هذا هو حال الدنيا.. أليست هذه جملتك؟

فقلت ساخرًا:

– القدر يعبث بنا على طريقته..

– إنني فقط أتساءل عن المصير.. هل سيكون مثل البداية التي مشينا فيها بغير وعي؟

– لا قيمة للفيلم إذا لم تكن نهايته مؤلمة.. نهاية تذكركِ بشيء غامض لا تعرفينه.. فقط تترك أثرها بداخلك..

فقالت بنبرة حيادية:

– لا أعرف.. لكن هناك بعض الأمور يجب أن أتركها تأتي دون تخطيط؛ لأن ما نخطط له لا يحدث أبدًا..

وتساءلت قائلاً:

– أين زوجك؟

فقالت في استنكار:

– من قال إنني متزوجة؟!

- إنه مجرد تخمين.. وأعتقد أنه صائب!!

قلتها وأنا أحاول اصطناع ابتسامة متوددة.

أومأت برأسها بالإيجاب:

- نعم.. هو في محله..

- هل مات؟

فقالت بهدوء نسبي يخفي نبرة حزنها:

- لقد ذهب بعيدًا..

ثم قالت بحزم:

- لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر من فضلك..

احتضنتها بنظرة مشفقة.

- هل أشعرك بالملل؟

فقالت وهي تبتسم:

- كلا.. مطلقًا..

- حقًّا.. أنا لست فضوليًّا.. لم أقصد أن أكون كذلك..

- لكني فضولية..

فنظرت إليها مندهشًا.. فأتبعت حديثها قائلة:

– أنا فضولية فقط فيما يخصني.. وظيفتي أن أتحقق في أعماق نفسي..

– أنتِ شديدة الحساسية.. وعليكِ ألا تكوني هكذا.. الحساسية الشديدة دائمًا ما تقود إلى دفع أثمان باهظة..

– ماذا عليَّ أن أفعل؟

– فقط اعلمي أن حبك اليافع زائل لأن الشباب زائل..

– ...............

واستغرقنا في تناول الطعام صامتين إلى أنا شبعت.. فقلت:

– لقد انتهيت من طعامي.. ويمكنك الانصراف..

وقبل أن أترك مكاني أمام المائدة قلت:

– يمكن أن تأتي في الغد إذا كانت صحتك تسمح بذلك.. وإلا اعتبري نفسك في إجازة مدفوعة الأجر..

رن الهاتف فرفعت السماعة وجاء الصوت مكتفيًا بأن يقول لي:

– لقد قتلت.. بيرسفي..

* * *

# 1- بيرسفي

Ⓑ Ⓔ Ⓡ Ⓢ Ⓘ Ⓥ Ⓔ Ⓨ

لقد تكلمت كثيرًا.. وفكرت قليلاً.. لا يهم.. أعتقد أنني دائمًا كنت جيدة مع الكلمات.. لكنني أخطأت في استخدام هذه الكلمات؛ إذ لم يبدُ لي أي شيء أكثر طبيعية من أن أكون ما أردت أن أكونه وأن أحيا حياة هادئة بلا ضجيج أو إزعاج..

لكنك يجب أن تعرف جيدًا..

أن البنت على عكس الولد تمامًا.. فالبنت تعشق الكلمات وتركب الجمل.. تسرها جملة جديدة..

في عملي ليس من المهم أن أشرح ما أفعله بقدر أن أفعل ما أفعله، يجب أن أكون مدركة لكل كلمة أقولها.. مدركة لواقع آثرها عليهم.. بعض الرجال يكرهون سماع عبارات معينة.. ولا يطيقون حركات معينة.. ولا يعيشون من دون أخرى.. هذه هي طبيعة البشر..

في عملي يجب أن أعرف أين أضع يدي.. شفتي.. لساني.. ساقي.. وحتى أفكاري.. يمكنني أن أصبح قبلتك الأولى وغرامك الذي تترك الجميع من أجله..

في عملي.. كل ما أعرفه أنه إذا فعلتها بالشكل الصحيح قد أصبح حلمًا حيًّا يعيش ويتنفس.. لكن في تلك اللحظة يمكنني أن أختفي من حياتك فعليًّا.

سأعرفك بنفسي:

اسمي بيرسفي.. اسم غريب بعض الشيء.. لا.. إنه غريب كليًّا.. فمعنى الاسم بالكلدانية هو «سهل على سفح جبل كثير المياه».. كان هذا أول شيء عرفه يوسف عني عندما تعرفت عليه في إحدى الحانات.. وقلت له برقة وأنا أكمل تعريف نفسي: أصل اسمي هو «بر ساوا».. هو اسم قرية منقوش على قوس مذبح الكنيسة الذي تحور ربما إلى «بيرسفي»..

أعتقد أنه لم يعجبه حديثي فغير دفته قائلاً:

– قلتِ إنكِ صحفية.. أليس كذلك؟

– نعم.. لكني لست هنا للحديث بصفتي صحفية..

– هل تريدين شيئًا معينًا؟

- التعرف عليك..

فاندهش قليلاً وهو يدور بعينيه ثم تساءل:

- لِمَ؟

فقلت متصنعة عدم وجود دافع لذلك:

- لا شيء.. فقط معجبة بك.. أنت جميل..

- هذا كل شيء؟

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتي وسألته:

- هل يضرك العمل معي؟

- لا يا سيدتي.. على العكس.. إنك تبدين إنسانة لطيفة جدًّا.. جدًّا..

لم يكن يوسف يتعجل الكلام كثيرًا.. فقد كان يتفحصني بدقة.. ومن المحتمل أنه أصدر حكمًا على قدراتي في غير صالحي..

- أنا مسرورة لرؤيتك.. انتظرت هذه اللحظة كثيرًا.. لدعوتك إلى العشاء..

رمقني بنظرة مندهشة:

- أنا؟!

- ادعُني إلى العشاء!!

- إنه شرف عظيم..

- سيكون بسيطًا جدًّا.. ما رأيك بأن نذهب أيضًا إلى السينما.. نختار فيلمًا رومانسيًّا.. لكن لا نشاهده؟!

وابتسمت له ورُحت أكمل رسم صورتي أمامه كمومس تصطاد فريستها بلا مقابل.. كان تصرفًا غريبًا مني.. لكن في النهاية اصطحبته إلى شقتي وهناك مارسنا الحب.. وهناك عرفت الحب لأول مرة في حياتي..

- تابع اللمس.. إذا كنت تتمتع بذلك..

- اعذريني.. فأنا غبي في التعامل مع النساء..

- هل ترى نهدايَ؟

- بالطبع أراهما..

- كيف تجدهما؟

- جميلان..

استمتعت الليلة.. فقد كان ظريفًا ورائعًا.. أظن أن الأمور جرت على ما يرام..

- يجب أن أذهب إلى الجريدة.. رئيس التحرير في انتظاري..

اقترب مني وراح يمرر شفتيه على صفحة خدي ويغمغم:

- لماذا لا تتصلين بمديرك وتخبرينه بأنك لن تذهبي وسوف تكونين في إجازة لباقي اليوم؟

- وكيف سنقضي باقي اليوم؟

- من الأفضل أن نسترخي لأطول فترة ممكنة..

* * *

لم أكن طبيعية.. لكنني أيضًا لم أعرف أنني لست طبيعية..

على الرغم من أنني سأبلغ الثلاثين في أغسطس المقبل، كنت لا أزال فريسة لمشاعري المتناقضة حيال الرجال وأحاسيس شتى تقبض قلبي كلما وقع بصري على أحدهم.. ظل إحساس الخوف والقلق مسيطرًا عليَّ.. كانوا يبثون في ثناياي خوفًا غامضًا لا أدري باعثه..

ولدت يتيمة.. ولم أرَ الرجل الأول في حياة كل بنت.. وهو والدي.. نشأت بين أحضان أمي التي سعت جاهدة إلى توفير حياة آمنة لي.. لكنها لم تتمكن من ذلك وظللت أنا أعاني صعوبة الحياة على الرغم من جمالها..

وعشت أهرب من كل الرجال الذين عرفتهم خلال حياتي.. لكن يجب أن نستثني واحدًا.. واحدًا فقط.. يوسف..

يوسف كان شيئًا آخرَ لا أعرف لِمَ انجذبت إليه.. كان هناك شعور غامض بالسعادة كلما نظرت في عينيه..

كان هناك فرق في العمر بيني وبين يوسف.. ليس كبيرًا.. بضع سنوات.. وكنت أعرف أنه عضو بارز في الحزب.. بل كان أهم رجل فيه..

نعم.. التقرب منه في البدء لم يكن بدافع الحب.. لكنه أصبح كذلك.

* * *

عندما عُدتُ إلى البيت بعدما أنهيت عملي في الجريدة وجدت في صندوق بريدي القابع في أقصى مدخل البيت خطابًا.. ألقيت نظرة سريعة على الظرف ثم دسسته في جيبي وصعدت.

أفضيت الغلاف والدهشة تتملكني وقرأت..

سقط الخطاب من يدي وركبني في البداية خوف تخلخلت له مفاصلي وأحسست برجَّة تسري في أطرافي وأن قدميَّ لا تكادان تحملانني..

* * *

*إذا لم يكن بإمكانك الحديث بشكل جيد عن شخص ما فلا تتكلم عنه..*

*عندما تم تسريب بعض من مذكرات بيرسفي لم تعصف بي.. لكنها كانت المسمار الأول الذي يدق في نعشي..*

يوسف

## – III –

تبقى لديك ستة أشهر.. كما قال لي طبيبي الخاص..

وبعد سنوات لاحقة نظرت في وجهه.. كنت أريده أن يرى أنني ما زلت على قيد الحياة.. لكنه كان قد مات.. وأودعته في مثواه الأخير.. العمر ما زال يطول بي.. لكنني لا أعرف إلى متى؟

لم أهلع قط من الموت وإن كان الحديث عنه قد صار أكثر ابتذالاً من الموت نفسه وإثارة للغثيان..

دائمًا يجب أن أتذكر ذلك.. لا أعرف لِمَ!!

«حياة الإنسان هي أثمن ما في الوجود..

إذا كنتم لا تفكرون في أنفسكم..

فكروا في الأشخاص الذين تحبونهم..

آبائكم وإخوانكم وأبنائكم..

الذين يهتمون لأمركم، وينتظرون بقلق عودتكم..

لن تجنوا أي شيء من جرَّاء قتل أقرب أصدقائكم..

هذا بلد آمن وسوف يظل كذلك..

الإنسانية هي التي ستحكم التعامل معكم..

ولا نريد لأي منكم أن يتأذى..

لا تفكروا في مقاومتنا!!

إذا قمتم بتسليم أنفسكم..

فإن السجناء المرضى..

والمصابين سوف يتم نقلهم إلى المستشفيات فورًا..

وستتاح لكم رؤية عوائلكم خلال العطلات الرسمية..

فالحياة جميلة على الرغم من كل شيء»..

كانت كلماتي مؤثرة على مسامع هؤلاء الخارجين على القانون..

الذين كانوا يحاولون أن يشيعوا الفوضى في البلدة التي كنت أتولى قسم الشرطة فيها.. بعدها بأعوام قليلة قدمت استقالتي من العمل العسكري

وانضممت إلى الحزب واندمجت في العمل السياسي حاملاً داخلي الكثير من بورتريهات الأحلام الوردية.. وكانت الأجواء حينها متوترة سياسيًا وكان يجب علينا أن نثبت ذاتنا، ونصعد الدرجات.. لقد كان عقد الثمانينات عقد الأحداث المتلاحقة وبدايات الانهيار..

كان مدى عمق العداء لإسرائيل هو معيار الوطنية طوال الخمسينات والستينات وبدايات السبعينات.. إلى أن جاء من غيَّر اتجاه الريح ومسخ حقائق التاريخ وصوَّر الأعداء في صورة أبناء العم وتنكَّر للأشقاء في الدم.. بعدما جاء خطاب السادات الذي أعلن فيه عن رغبته بالسفر إلى القدس «وإقامة سلام شامل ودائم» مع إسرائيل ليرمي بالقضية الفلسطينية ومعاداة الصهيونية في هوة ركن مظلم وبارد دفع ثمنه آلاف الضحايا من الفلسطينيين واللبنانيين، وأيضًا المصريين، ضحايا التطبيع والقمع السياسي..

هكذا جاءت حقبة الثمانينات بجعبة محمَّلة بالأحداث والهزائم والمذابح والتغيرات الجذرية، سواء على المستوى المحلي أو العالمي.. إلا أن الأحداث على المستويين ارتبطت بخيوط كانت تتضح تارة وتختفي تارة أخرى حتى غدت مثل كرة من الخيوط المعقدة، ولعل إعادة قراءة أحداث تلك الحقبة يمكن أن تتيح لنا إعادة فك ما تعقد منها.

استهل السادات عام 1980 بافتتاح السفارة الإسرائيلية بالقاهرة في شهر فبراير.. بعدها تسارعت وتيرة الأحداث وانطلقت حرب الخليج الأولى.. وفي هوس التخبط وجدنا لأقدامنا طريقًا تسير فيه وصعدنا السلم بسرعة ومن دون أن يشعر بنا أحد.. لعبنا على وتر كراهية اليهود وتحرير فلسطين والوحدة العربية.. لعبنا بكل طرق اللعب وسجلنا أهدافًا كثيرة.

ففي تلك الأجواء السابقة اختمرت في ذهني فكرة مقاومة الضغوط الصهيونية التي شعرت أنها واقعة على القيادة السياسية في مصر وتمارسها أمريكا وإسرائيل، خاصة في مجال التطبيع، ودشنت الفكرة بعملية الاعتداء على زيفي كيدار، أحد أعضاء الموساد في يونيو 1984، عند خروجه من بيته في المعادي، وقد أصيب بجرح في يده نتيجة طلق ناري ونُقل إلى مستشفى السلام بالمعادي.. وأعقبتها بثلاث عمليات بواقع عملية كل عام.. لكن قبل هذا كله كنت قد وجدتها..

*صوفيا..*

في قاعات الحزب شاهدتها وتسللت إلى هذا المخ الصغير ومرت داخله بغير عنف..

صوفيا.. لطالما كان لديَّ شغف نحوكِ بالفعل.. دائمًا ما كنت أسأل نفسي: من أين أتت تلك الفتاة؟ كيف لها أن تأسرني منذ الوهلة الأولى؟ صوفيا.. عيناك كانتا تبعثان الحياة بداخلي.. قادتاني إلى فرح لم أعرفه.. وضحكات لم أتخيل نفسي أستنزفها.. لقد سافرت العالم كله وشاهدت عجائبه.. لكنك كنت الشيء المميز في هذا العالم.. لم أجد مثيلاً لكِ.. يوجد شيء واحد: لديكِ وجه لا يصدق.. صدقيني.. أعرف أنك تصدقين ذلك..

ألم تقولي لي: «قريبًا سوف تعرف الروائع التي لم تشهدها أبدًا في أحلامك وطوال أيامك هذه»؟

وما زلت أصدقك..

* * *

## - IV -

عندما دقت الساعة الثامنة صباحًا رن جرس الباب.. فكانت مريم فبادرتها بقولي:

- كيف صحتك الآن؟

- بخير..

- هل أنت متأكدة أنك تستطيعين العمل؟

قلتها وأنا أزيح الباب وأسمح لها بالدخول.. فتخطت عتبته وقالت وهي تهز رأسها في تأكيد:

- نعم.. أستطيع..

- يعجبني هذا الرأس العنيد..

قلتها وأنا أشير إلى رأسها.. ثم أتبعت:

– سوف تضطرين في يوم إلى تهشيمه..

فابتسمت وهي تقول:

– لا أعتقد ذلك.. فهو ليس صلبًا كما تعتقد..

ثم قالت في تساؤل:

– هل أحضّر لك الفطور؟

– سيكون ذلك لطفًا منكِ..

– اسمح لي.. أرى أنك لم تغفُ جيدًا.. عيناك لم ترتاحا بعدُ؟

– خلال الأشهر الماضية.. أصبح الاستيقاظ من النوم يضرني.. يسبب لي الكثير من الألم.. كلما أجد نفسي ما زلت قادرًا على التنفس ومعاودة التفكير مرة أخرى... آه.. هلا فعلتِ ما طلبته منكِ لأن لديَّ بعض المواعيد؟

– أجل.. خلال دقائق فقط.. بعد إذنك..

– تفضلي..

*العودة إلى الحياة أصبحت شيئًا مؤرقًا جدًّا بالنسبة لي.. منذ أن فقدت صوفيا، فقدت الرغبة في الاستيقاظ.. لا أتذكر أنني قفزت مرة من السرير واستقبلت يومي بابتسامة.. على العكس تمامًا كانت صوفيا..*

*كنت دومًا أقبلها بعنف في الأيام التي كانت تستيقظ فيها وتكون سعيدة.. لكني كنت أود أن أقول لها إن الحمقى هم من يستقبلون يومهم بابتسامة..*

ارتديت ملابسي ولمعت حذائي ونظرت في المرآة..

*صوفيا.. اعتادت أن تضحك في وجهي ثم تطبع قبلة على خدي.. لقد تم كسر قلبي برحيلك.. أشعر كما لو أنني أغرق ولا أستطيع التنفس.. لأول مرة في حياتي لا أستطيع رؤية مستقبلي.. أي مستقبل هذا الذي أتحدث عنه لعجوز تخطى الستين من عمره.. كل يوم يمر يزداد الضباب أمام عيني.. لقد فقدت القدرة على اتخاذ القرارات..*

– سيد يوسف..

أفقت من شرودي على صوت مريم فانتبهت:

– الفطور جاهز..

– أنا قادم..

قلتها وأنا أومئ برأسي..

عندما خرجت كانت مريم قد بدأت في ترتيب البيت، فلم أحدثها واتجهت نحو مائدة الطعام وجلست أتناول فنجان القهوة وشردت بعقلي

بعيدًا.. دائمًا ما أحاول الهروب من الزمن والعودة مرة أخرى إلى الوراء.. لماذا أتذكر كل هذه الوجوه الفانية؟ لماذا؟ الآن أصبح هناك بعض العبث في أمور كثيرة.. ارتفعت عيناي قليلاً ونظرت إلى ابتسامة صوفيا المعلقة مع وجهها في الصورة.. وقلت لنفسي: *«لم نكن نعلم إلى أين نذهب.. لكننا كنا نسير معًا.. ألم تقولي لي: إذا تمكن الشخصان من البقاء معًا دون أن يسعى كل منهما إلى فهم الآخر فإن حياتهما معًا قد تمتد ولن يشعر كل واحد برغبة في الهروب؟».. لقد كنتِ مخطئة في هذا الشأن.. لقد ربطتِ مصيرك بشخصية متبلدة لا تملك مصيرها.. أعلم أنكِ تعرفين هذا كله.. لكن السؤال: لماذا اقتربتِ مني وأنتِ تدركين ذلك؟*

انتبهت إلى أن مريم قد أملت عليَّ سؤالاً فتساءلت:

– ماذا قلتِ؟

– كنت أتساءل: كيف ستقضي يوم العطلة غدًا؟

فكانت إجابتي مبهمة:

– بالطريقة نفسها التي قضيت بها كل الأيام..

أرتشف من فنجاني وأعود مرة أخرى إلى شرودي متجاهلاً شغف مريم للحديث معي..

*خلال حياتي بكيت مرتين.. عندما رحلت عني صوفيا.. وعندما توفيت أمي..*

*أمي.. أنا لم أقبّل أمي أبدًا طوال حياتي.. لم أرتمِ في أحضانها.. كنت أشعر أنها على استعداد لفعل ذلك.. لكن شيئًا ما كان يجعلني أخجل من فعل ذلك.. بكيت كثيرًا عندما ماتت.*

أنهيت فنجان قهوتي.. وانتفضت من فوق مقعدي قائلاً:

- أنا خارج.. لا أعرف إن كنت سأتأخر أم لا!!

- ماذا أصنع لك على الغداء؟

- أي شيء..

أغلقت زر بدلتي وخرجت وعقلي أبعد ما يكون إلى السكون قاصدًا فيلا جاري السيد أكرم لكي أطمئن على ابنه أكمل بعد عودته من المشفى بعدما أُجريت له جراحة خطيرة لا أعرف طبيعتها..

* * *

## 2- أكمل

Ⓐ Ⓚ Ⓜ Ⓐ Ⓛ

مرت ثلاثة أشهر على إجرائي عملية استئصال لورم خبيث استوطن عقلي.. وها أنا في مرحلة العلاج الأخيرة، علاج كيميائي أزاح فروة رأسي التي أخفيها بـ«آيس كاب»، أما جسدي فأصبح صحراء جرداء لا ينبت بها سوى الأسى والآلام. كنت سعيدًا بهذا العشب الذي ينبت في أنحاء جسدي.. لكن هذه هي الدنيا لا تبقي شيئًا ولم يبقَ عليَّ سوى انتظار الأمل الأخير أن يأتي ويأتي معه شعري الزائل..

طبعت أمي قبلة على جبيني ثم قالت:

– غدًا في الصباح الباكر عندما تستيقظ سوف أكون بجوارك لكي أصطحبك إلى البيت.. تصبح على خير يا أكمل..

– وأنتِ أيضًا..

أحكمت الغطاء على جسدي الصغير النحيل وربتت على صدري وطبعت قبلة أخرى على جبيني في حنو بالغ، ثم انطلقت بخطوات ثابتة تحاول التظاهر بالتماسك.. خرجت مطفئة النور وأغلقت خلفها باب الغرفة المغلفة باللون الأبيض الذي يبعث بالوهن إلى قلبي وباقتراب الموت دائمًا مني.. الموت فقط ينتظر الفرصة.. لكنني أعتقد أنه يتلذذ بعذابي.. أنني أسمع صوت ضحكاته المتعالية..

آه يا رأسي.. ما كل هذه الأفكار التي تجتاح عقلي؟!

حاولت النوم لكن لم يكن قد حل ميعاده بعدُ.. كانت الخيالات – التي يصنعها الضوء المتسلل من النافذة الزجاجية – تثير ذعري، كنت أشعر أنها سوف تتحول إلى وحوش مفترسة تنهش لحمي البالي.. حاولت الخروج من هذه الأفكار التي سيطرت عليَّ من جرَّاء إطفاء النور في الغرفة، تناولت هاتفي الجوال من فوق الكومود الكائن بجوار سريري وعبثت بأزراره حتى وصلت إلى مبتغاي فعدلت وضعي بالنوم على جانبي الأيسر ووضعت الهاتف بجوار رأسي بعدما ضغطت بإبهامي على زر البدء.. لينبعث صوت موسيقى هادئة تتعالى فجأة ثم تهدأ مرة أخرى ♫

♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♪♫ ♬ ♪ ♭ ♩ ♪ ♬ ♪♫ ♬ ♫ ♪ ♬ ♪♫ ♬ ♫

♪ ♭ ♩ ولا أملك سوى التحليق في هذا العالم الساحر لموسيقى **Yanni**

وجاذبية بيكاسو في لوحته المعلقة أمامي إلى أن جذبني النوم إلى عالمه المقلق.

* * *

استيقظت بلا مقدمات على صوت أذان الفجر المتصاعد حولي.. شعرت بشيء من البرد يسير على قدمي فأخفيتهما تحت الغطاء ومددت يدي وأشعلت هاتفي المظلم لأجد الساعة تقترب من السادسة.. فقمت من قبري وانطلقت نحو الحمام أفرغ ما بداخلي.

خرجت من الحمام أحكم «سوستة» البنطال وأجلس على حافة السرير أحدق في صورة ياسمين التي أحتفظ بها على هاتفي دون أن يعرف أحد.. شعرت بسعادة بالغة وأنا أتذكر اليوم الذي زارتني فيه في هذا المشفى مع الكثير من زملائي في المدرسة.. كانت تقف خجلى عند حافة السرير تحدق في بلاط الغرفة وتخطف نظرات نحوي دون أن يشعر أحد.. لم تزرني بعدها.. لكني أشعر بها وباشتياقها لي..

طرق الباب فكانت الممرضة قد أتت لتساعدني في وضع ملابسي ومتعلقاتي في حقيبتي وأخبرتني وهي تجلس بجواري أن ساكنًا جديدًا سوف يقيم في قبري فضحكت.. فسألتني وهي ترمقني بنظرة مستفهمة:

- ما المضحك في ذلك؟

- لا شيء.. فقد تذكرت موقفًا حدث لي..

- احكِ لي عنه..

- فيما بعد.. أخبريني، ما عمر الساكن الجديد؟

- إنها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها..

- أتمنى لها إقامة سعيدة.. أخبريها بذلك.. وأخبريها بأني تركت لها لوحة بيكاسو معلقة على الحائط الأبيض لتلعب مع أشخاصها في الظلام.. ولا داعي لأن تشكرني على ذلك فأنا أعرف معنى الظلام في هذه الغرفة..

قلتها بنبرة ساخرة.

وخالط صوتها الحزن وهي تقول:

- إنها حقًّا مسكينة.. لم يكتفِ القدر بإجلاسها على كرسي متحرك، بل زاد وأصابها بمرض خبيث..

- هل هي عاجزة تمامًا؟

هزت رأسها في تأكيد.. فاحتقرت نفسي على تفكيري نحوها بهذه السخرية.. وشعرت برغبة عارمة في رؤيتها..

وقالت في بساطة:

- هيا لأجهز لك أمتعتك.

* * *

أتت أمي في نحو الثامنة عندما كنت أربط رباط حذائي الكوتشي الأبيض بعدما أغلقت سوستة سترتي إلى أعلى صدري..

حملت أمي حقيبتي وأخبرتني بأن أتبعها ثم خرجت.. قمت أحكم الـ«آيس كاب» على رأسي ودفست الهاتف في جيبي وألقيت نظرة الوداع على لوحة بيكاسو وشعرت بمدى تسرعي في إهدائها إلى ساكن غريب لا أعرفه.. ألقيت نظرة أخيرة على غرفتي ثم انطلقت غالقًا بابها.

سرتُ في الطرقة المؤدية إلى درج السلم.. وقبل أن أتجاوز العتبة الأولى من الدرج شاهدتها وهي محمولة بين يدي اثنين من العاملين في المستشفى.

ابتسمت لي فابتسمت لها ونظرت إليها وهي تسير في الطرقة بعدما وضعاها على كرسيها المتحرك، لم تكن ترتدي «آيس كاب» تخفي به هذا الخلاء الذي يعلو رأسها.. اعتقدت أنها سوف تلتفت لي وتبتسم كما يحدث في الأفلام.. لكنه لم يحدث.

عندما انتهيت من هبوط الدرج الرخامي وجدت أمي تستدير إلى الخارج بعدما رأتني فتتبعتها وصورة الفتاة لا تفارق ذهني.

غُصتُ داخل مقعد السيارة بجوار أمي.. كنت أتأمل السيارات والعابرين والأبنية التي ازدادت رونقًا وجمالاً.. لكنني أتقزز من هؤلاء الشحاذين الذين يهجمون عليك كلما تقف سيارتك في إشارة مرور فاردين أيديهم مع أسطوانة مشروخة تسمعها دائمًا.. تلاشى التقزز والقرف مع وجه هذه الفتاة التي تسير على الرصيف بملابسها شبه العارية التي تجعل الدم يتدفق في عروقك وتسمع نبضات قلبك الذي يهب واقفًا.

* * *

قضيت ثلاثة أيام مملة.. أشاهد فيها وجوهًا – تتغير على فترات – أتت لتلقي عليَّ كلمات الشفاء القبيحة التي لا معنى لها.. أحاول أن أتلصص على بيرسفي عبر النافذة لكنها دائمًا غير موجودة.. أشاهد مباريات الدوري الإنجليزي، خاصة مباريات مانشستر يونايتد.. أقضي ساعات على الإنترنت أتصفح الـ**Facebook** و**Twitter** ولا أحب استخدام خاصية الـ**Chat** التي تصبني ببعض العصبية فأستخدم عوضًا عنها خاصية مشاهدة أفلام الـ**Pornotube**.. أنهيت مباريات

الـMastrleague في لعبة PES.. أسمع بعض الأغاني من ألبومَي إليسا وعمرو دياب الجديدين.. أقرأ قليلاً أو أستسلم للنعاس فأغفو لساعة أو ساعتين ثم أستيقظ لأكرر ما سبق.. لكن ليس على الترتيب..

لكن السؤال ظل يدور في عقلي ويلح دون أن أجد إجابة: أين ذهبت بيرسفي؟

* * *

## - ٧ -

عندما سرت نحو فيلا السيد أكرم التي تبعد قرابة مائة متر تقريبًا.. هب الماضي من ثنايا المكان وتذكرت عندما أصيبت ذراعي بكسر مضاعف عند مفصل المرفق وأنا أقود دراجتي البخارية عندما أعاق حجر كبير اندفاع العجلات فهوت الدراجة واندفعت أنا من فوقها لأسقط فوق ذراعي.. كنت في العشرين من عمري وقتها.. وحين التأم الكسر صارت ذراعي اليسرى أقصر قليلاً من اليمنى، عندما كنت أقف أو أمشي كانت تظهر يدي بشكل زاوية قائمة مع جسدي، أما إبهامي فكانت موازية لفخذي.. لكني لم أهتم بذلك، ولم أعِره أي اهتمام..

- مرحبًا بك سيد يوسف..

هكذا بادرني السيد أكرم عندما تخطيت البوابة الحديدية لأجده جالسًا تحت ظل شجرة كبيرة يتناول إفطاره.. اقتربت منه قائلاً:

– صَباح الخير سيد أكرم.. كيف حالك؟

واتجهت نحوه أصافحه فرحَّب وأشار لي بالجلوس وتناول الإفطار معه فلم أخيب ظنه وتناولت قطعة صغيرة من الكعك، التهمتها دفعة واحدة وأتبعتها برشفتين من فنجان شاي غير محلًّى بالسكر وقلت:

– أعرف أن الوقت مبكر على الزيارة.. لكن أعرف أيضًا أنك تذهب إلى العمل مبكرًا وتعود في وقت متأخر.. فعذرًا..

فقال في تودد:

– لا تقُل ذلك.. أنت تشرفني في أي وقت..

– شكرًا لك.. لكن أخبرني أولاً عن صحة الفتى أكمل.. كيف حاله؟

– بخير.. نحمد الله على كل شيء.

– له الحمد على كل شيء.

– لقد كُتبت له حياة جديدة.. كانت محنة قاسية..

– ممَّ كان يشكو؟

فقال متألمًا:

– من مرض العصر «cancer».. لقد استوطن أجساد المصريين وأنهكهم..

– بسبب ثمار يوسف والي المهجنة.. إننا نجني البذور الفاسدة التي حملت بها الأرض منذ زمن بعيد..

– كلامك به الكثير من الصواب.. لكن قُل لي، ألا تفكر في العودة إلى حلبة السياسة مرة أخرى؟ نحن بحاجة إليك في الانتخابات البرلمانية المقبلة..

– لقد وعدت صوفيا بألا أعود.. يكفي ما حدث، لقد ماتت وهي غير راضية عني..

– القيادة العليا تريدك أيضًا في الوزارة..

– أصبحت «كرت» محروقًا لن يفيدهم بشيء.. والرجل يجب عليه أن يعرف متى يغادر الحفل..

فقال في لهجة لا تخلو من استنكار:

– الحياة دائمًا تفرض أشياءَ لم تكن تخطر على بالنا.. ويجب أن نستمر مهما كانت الظروف.. أليست هذه كلماتك؟!

– نعم هي كلماتي.. لكني كنت مخطئًا.. لقد خيَّبت آمال نفسي..

قبل أن أخيِّب آمال الآخرين..

– لا تحمِّل نفسك أكثر مما تستحق.. لقد مر وقت كافٍ على ما حدث ويجب أن تنسى وتفكر في ما تبقى من العمر..

وتساءل وكأن السؤال هبط عليه فجأة:

– لماذا لم تأتِ إلى جنازة بيرسفي؟

فرددت بسؤال آخر:

– كيف ماتت؟ أقصد من قتلها؟

فقال بتحفظ:

– لا أحد يعرف.. لقد ألقي بها أحدهم من شرفة منزلها فسقطت علي الأرض جثه هامدة أو هي التي انتحرت لا أحد يعرف ..

وتساءلت بلهجة مترددة بعض الشيء:

– هل تعتقد أنهم هم من تخلصوا منها؟

– لا أستبعد ذلك.. لكن لا أجزم به..

فتمتمت بإشفاق:

– على الرغم مما سببته لي فإنني أفتقدها.. كنت أعرف أنها

تحبني بجنون.. لكني تجاهلت هذه المشاعر الصادقة.. وأعطيتها ظهري غير مبالٍ.. كم كنت قاسيًا عليها!

وعقَّب أكرم وهو يتنهد قائلاً:

– من مثل بيرسفي خُلق ليتألم..

*بيرسفي.. احلمي كما تريدين واختاري أي حلم.. ولكن.. أعرف أن هذا فظيع.. لكني أعتقد أنكِ ستجدين الشخص الذي تريدينه.. وتستحقينه.. وهذا ليس أنا.. لقد قطعت وعدًا حتى الموت بأن أخلص لصوفيا..*

– سوف يزورك اليوم أو الغد على الأرجح شخص عزيز عليك..

انتبهت وتساءلت بصوت متردد:

– من؟ تقصد... هل خرج؟

* * *

# 3- مختار




وراح العسكري توحيد ينادي على أسمائنا:

– مجدي محمد؟

– هنا..

– أحمد عباس؟

– هنا..

– مايكل حنا؟

– هنا..

– توفيق رأفت؟

– هنا..

– مختار عبد الصمد؟

– هنا..

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها نبرة الانكسار في صوت العسكري توحيد، ذلك الهيكل الضخم الذي يقذف الرعب داخلك من نظرة عينيه الصلبة.. فيما بعد عرفت أن ضابطًا أهانه إهانة سكنت أضلاعه ولم يستطِع بصقها:

– كلمة واحدة وسأمزق عينيك اللعينتين.. أتسمعني يا ابن القحبة؟

– يا أفندم...

– توحيد.. اخرس بحق أمك الساقطة.. اخرس..

هكذا تخيلت الحوار الذي دار بين العسكري توحيد والضابط.. لكنه كان تخيلاً راقيًا.. لا أعتقد أن الحوار كان على هذا النحو..

* * *

«غدًا الموافق 0000/00/00 يوم الحرية المفقودة التي تتجدد بعد عشرين عامًا من الحرمان والسجن داخل هذا الصندوق الأسود الكئيب..

مختار عبد الصمد»..

وضعت الطبشورة البيضاء بجواري وأخذت أتأمل الكلمات التي كتبتها على الحائط وتأكدت أنها كُتبت بشكل صحيح غير ناقصة لأي حرف أو نقطة.. عدّلت وضعي وأسندت ظهري إلى الجدار الأسمنتي وأرحت رأسي عليه ورحت أنظر إلى النافذة وقد شعرت بأن الموعد قد حان وأن نسيم الحرية يلوح في الأفق.. يقترب مني في كل دقيقة تمضي.. لقد مضى زمن طويل.. مددت يدي داخل جيبي وأخرجت سيجارة من العلبة الكليوباترا المتهالكة من أثر الإخفاء أثناء تهريبها عن أعين الحرس.. أشعلتها ونفثت منها ببطء وأنا أتأمل الدخان المتصاعد من مخارجي وشعرت أن غدًا سأطير مثلما يطير هذا الدخان..

تعودت لدرجة التآلف مع العتمة المطبقة وجدران الأسمنت الباردة الملطخة بنقوش الطباشير الأبيض، الحاملة لذكريات راسخة لكل سجين.. والرائحة الكريهة.. رائحة القمع والذل والنرجسية التي كنت أعامَل بها في زنزانتي الانفرادية حيث حشرت.. فيها لم أعد قادرًا على تقدير ما مرَّ أو بقي من الزمن.

ليلي دائمًا مسترسل يذكرني بعيش الكائنات القاطنة في المستنقعات وسط السراخس.

نظرت إلى دفتري المفتوح الذي يسكنه قلمي الأزرق الجاف.

تناولته ووضعته على ركبتي وغصت في عالم ذكرياتي وخواطري التي أكتبها منذ أن أودعت هنا..

* * *

<u>دفتري</u>

*«أنا.. لا أحد!*

*وأنت، من تكون؟*

*هل أنت أيضًا لا أحد؟*

*إذًا.. فثمة اثنان منا، إياك أن تخبر أحدًا!»..*

*خطأ أن تقول أنا أفكر.. بل عليك أن تقول أنا فكرة..*

*الأنا شخص آخر.. شخص غريب عنك.. تكاد لا تعرفه..*

*فقط.. أنا موجود عند ولادة فكرتي..*

*أنظر.. أسمع.. أخط طريق الخلاص..*

* * *

إن العبرة بالنظر.. ليست النظر إلى أعلى.. بل بمستوى العين..

عندما أخرج ماذا عليَّ أن أفعل؟ مممممم.. أعتقد أن عليَّ أن...

آه..

أولاً: سأحلق شعري وذقني.. ثم سأستحم.. سأشتري صحيفة وأقرؤها بدءًا من العناوين الرئيسية وحتى صفحة أبراج الحظ.. سأسير في الشارع مرفوع الرأس.. إذا اصطدم أحد بقدمي سوف يعتذر لي.. وإذا دُفِعت سأرد بدفعة مقابلة.. سأنظر إلى عيني زوجتي.. سأحتضنها بين ذراعي وستحضنني هي بين ذراعيها.. وأقبِّل طفلتي الصغيرة.. وأصطحبها إلى الملاهي.. وسأركن سيارتي في المكان الذي أريده.. سأكون مألوفًا للجميع ولن يطلق عليَّ أحد كلمة غريب.. لن أتفوه بكلمة، وسوف أفهم أي لغة يتحدثون بها.. لن أكون خجولاً أمام الضيوف الغرباء.. سأكون أنا...

* * *

ها هي الأبواب تُفتح مرة أخرى وتتخطى قدماي عتبة باب القسم مرة أخرى بعدما أنهيت إجراءات المغادرة.. خرجت حاملاً حقيبتي الصغيرة التي جمعت فيها أوراقي ومتعلقاتي وكل ما دوَّنته طوال سنوات السجن.

ها هي الدنيا تعود..

ها هو باب السجن الأصم يبتعد منطويًا على السنوات اليائسة..

تأملت واجهة القسم وتناثرت ومضات الزيارة الأولى أمام عيني.. أغلقت بدلتي السوداء وانطلقت بخطوات ثقيلة متأملة لكل ما حدث له من تغير طوال غيابي الطويل.

أنا عائد إلى البيت.. فقد أنهيت مدتي.. الآن يجب أن أعرف ما هو لي وما ليس لي..

أتأمل وجوه المارة والسيارات المنطلقة دون أن تهدأ لتلتقط الأنفاس.. لم يعد أحد يتوقف في هذا الزمن، من يتوقف تدهسه الأقدام ولا يجد من يمد إليه يده ليعيده إلى الحياة مرة أخرى.. الحياة.. أي حياة هذه التي خرجت إليها؟! ينتابني شعور بالغربة وسط هذا الصخب الذي يصدح في كل خطوة أتخطاها.. نكهة غريبة تجتاح حلقي وأنا أنفث من سيجارتي.. نكهة ممزوجة بنسمات الحرية الملوثة..

عندما اقتربت من باب منزلي كان الظلام قد حل.. أخفيت يدي داخل حقيبتي مخرجًا ورقة مطبقة وضعتها تحت عقب باب شقتي ثم أحكمتها على كتفي وضغطتُ على جرس الباب وانطلقت مسرعًا.

* * *

لا بد لي من معرفة كبيرة لتحديد الهدف.

الحياة مليئة بالفاجآت والصدمات.. ولا تضع في اعتبارها أقدار تلك الفئة الضعيفة والفقيرة من البشر نصب أعينها.. تلك الفئة التي..

تُقتل.. بين تروس الحياة عن قصد..

تُقتل.. في صمت الألم وحزن الفراق..

تُقتل.. بحثًا عن الطعام والعلاج..

بالطبع تعرفون النتيجة:

النتيجة ما أنتم مقبلون عليه.. أيها السيدات والسادة:

لقد زرعنا الشوك في أجسادهم وسحقنا أحلامهم ومشينا على جثثهم من أجل أن نعتلي المنابر ونزرف الدموع على معاناتهم وضعفهم

*لتصفقوا لنا وترفعونا فوق الأعناق..*

*أيها السيدات والسادة:*

*لقد حان وقت أن نموت من أجلهم وليس العكس.. لكن عبثًا..*

*العكس هو الأمر الأبدي الذي نشع في جنبات الكون..*

*أيها السيدات والسادة: صفقوا بشدة..*

*تصفيق..*

**يوسف**

## 4- بيرسفي

Ⓑ Ⓔ Ⓡ Ⓢ Ⓘ Ⓥ Ⓔ Ⓨ

لا أعرف من أين أبدأ.. وكيف لي أن أعرف.. لقد مر شهر بعد صاعقة الجواب الذي تلقيته بوفاة ابني الوحيد في مدينة الضباب.. لم أعد أدرك شيئًا.. وليس عندي رغبة في الإدراك، وبدأت أشعر أنني أتقدم صوب شيء ما سوف يمزقني.

أصبحت هذه الذكرى لا تكف عن ملاحقتي وأنا أسميها «ذكرى» على أمل أن يتسنى لي اختزالها والتقليل من شأنها.. يجب أن أدع الماضي يذهب بعيدًا.

أنظر بعيني وأرى أنه لم يعد هناك ما يستحق عبء النظر إليه؛ لذا أغمض عيني وأدخل في الحلم..

رن جرس الباب.. لكني تجاهلته.. لكنه كان يلح ويصدع رأسي.. قمت من فوق سريري أرتدي الروب وأحكم ربطه حول خصري وأنا

متجهة نحو الباب أفتحه.. طالعني يوسف بابتسامه تائهة على وجهه.

أغمضت عيني، تنهدت، ارتميت في حضنه وأنا أبكي وكأني كنت أنتظره لأفرغ ما في داخلي من ألم.

- بيرسفي.. اهدئي من فضلك.. سيكون كل شيء على ما يرام..

أخذني من يدي إلى الصالة وهناك جلس بجواري ثم أخرج منديلاً من جيبه ومسح دموعي ورفع بطرف أصابعه وجهي وهو محدق فيه قائلاً:

- انظري إلى عيني.. وابتسمي.. أفردي شعرك.. ستكونين أكثر جمالاً..

قالها ويده تتسلل لتفك شعري ليهبط كالستائر فوق كتفي.

تنهدت وأنا أحاول أن أستجمع قواي.. كانت يد يوسف قد تسللت وأحاط خصري وضمني إلى صدره.

- شكرًا لك على كل شيء فعلته من أجلي.

- لا تقولي هذا.. أنا لم أفعل شيئًا.

- لقد فعلت الكثير من أجلي.. أحضرت جثمان ابني من لندن في وقت قياسي وأقمت له جنازة كبيرة.. كلهم جاءوا من كل مكان.. كانت

جنازة جميلة.. محزنة ومؤثرة.. أعظم ما فيها الناس الحقيقيون الذين وضعوا الورود على قبره.. لا أعرف كيف أعبر لك عن شكري.

وعُدت أبكي مرة أخرى على صدره.

– هل سنظل نبكي طوال الليل؟

– لا.. لا..

مسحت بكفي دموعي ثم قلت:

– من اللطيف قدومك اليوم..

– اللطف ليس له علاقة بهذا.. فقط أردت أن أراكِ..

– عندما تقوم بشيء لطيف تكون خجلان جدًّا من الاعتراف بذلك.. قبِّلني من فضلك..

قبَّلني ثم قال في حنو بالغ:

– بيرسفي.. يجب أن نكون معًا..

– نحن معًا بالفعل..

– شيء غريب.. إنني أشعر الليلة بأنني أحبك وفي حاجة إليكِ..

هل تتزوجينني؟

- يوسف..

- أحبك..

- لا تتسرع.. نحن ناضجان بما يكفي..

- لقد سئمت العمل من أجل الناس.. أريد أن أبقى في ظلك..

- يوسف.. يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا.. زواجنا لا يليق بنا.. سيعوق أحلامنا معًا..

- سنتحدى الجميع..

قلت في استنكار:

- حتى صوفيا..

- .....

- يوسف.. كلانا يحب الشهوة والغواية قبل أن يحب الحب.. دعنا نكتب جوابات غرامية مملة..

- لقد أحببتك وأحببت صوفيا وأريدكما معًا.. لا أريد أن أخسر إحداكما..

- وأنا أيضًا أحبك وأتمنى أن أكون زوجتك المخلصة.. وحتى لا تخسرنا يجب أن نظل عاشقين.. وألهو كعاهرة..

- بيرسفي...

قاطعته بوضع يدي على فمه قائلة:

- هل من الممكن أن تغني لي؟

* * *

في الظلام جلست وحيدة.. أستمع إلى أغنية أمريكية حزينة: «إنني حزينة ووحيدة وسيتحطم قلبي».. كان عندي طموح ذات يوم لكن ربما فقدته ونسيت كل شيء.. يجب أن أغير الوسط الذي أعيش فيه.. لا بد من تغيير أشياء كثيرة..

طوال حياتي لم أثق بأحد.. وعندما كان يثقل الليل والهدوء كان يثير مخاوفي..

طوال حياتي كنت عاجزة عن الاختيار باستمرار.. فالإنسان لا يستطيع أن يملك كل شيء.. لا بد من الاختيار، وأنا لا أعرف كيف أختار.. *ضحكت بمرارة*.. إنني لست سوى عاهرة.. هذه هي الحقيقة ولن أكون شيئًا سوى غير هذا.. لكن هل هذا ما أريده؟

كان دائمًا يقول لي إنني مجنونة وإنني أعيش في دنيا الخيال بعيدًا عن الواقع.. لكنني ضللت الطريق السليم.. كان صحفيًا وسيمًا

أحببته وأحبني.. في يوم جاء لي وقال: إنني أشعر برائحة أنفاسك في رئتي.. دمك يجري في شراييني.. ستكونين خير رفيقة يمكن البوح لها بكل شيء.. بكل شيء.. أحبك.

وتعانقنا بحرارة وقال لي: *إذًا ممكن أن نمارس الحب*.. ثم قبّلني.. تزوجنا وأنجبنا طفلاً جميلاً كنت أعتقد أنه هو البداية الجديدة لحياتي.

أغمضت عيني وأسندت رأسي إلى مقدمة السرير وتنهدت:

- ما أسخف هذه الحياة!

* * *

## - VI -

*لا ، ما أنت بالحالم يا يوسف، وقد آن لك أن تصدق عينيك.. نعم سيأتي في أية لحظة وسيقضي على ما تبقى من أمجادك الفانية.. سيفتح أبوابًا أوصدت.. سيشعل النيران مرة أخرى.. ويحرق الجميع.. وتتجمع غيوم العاصفة في السماء..*

مضت عدة ساعات أخرى دون أن أنبس.. عدة ساعات دون أن أجد من أتحدث إليه سوى ضميري الساخط.. في تلك الليلة لم يترك النوم جفوني.. ظللت ساهرًا أفكر.. وما إن أخذ خصاص النافذة ينضج بنور خافت إيذانًا بمطلع الصبح حتى كنت قد سقطت في النوم..

ورأيت فيما يرى النائم *أنني راقد على سريري أحاول أن أسبح في غيابات النوم ولكني لم أنم.. كنت أنظر عبر النافذة إلى المصباح المشتعل في الخارج.. وعندما سقط نظري عنه ثم أعدته مرة أخرى خُيِّل إليَّ أنني أنظر*

*في مرآة وأن هناك شخصًا صورة طبق الأصل مني يرتدي ثيابي نفسها.. سألته وكأني أعرفه جيدًا:*

*- كيف خرجت؟ لقد دفنتك بنفسي!!*

*- أنت من أخرجتني من قبري، ما زلت تلاحقني بخواطرك حتى أخرجتني من الزمن.. هل تناسيت ما فعلته بي.. لقد ورطتني في جريمة لا شأن لي بها.. وسحقت مبادئك التي ناضلت من أجلها.. حتى صوفيا لم تحترم وعدك لها..*

*- اصمت.. اصمت..*

*- أنسيت مختار.. وبيرسفي؟*

*ورددت الاسمين في فمي وكأني أستكشفهما:*

*- مختار.. بيرسفي..*

استيقظت على خطوات مريم خارج الغرفة وتذكرت أني أعطيتها مفتاح البيت.. تنهدت وشعرت بصداع يدب في منتصف رأسي ويقسمها إلى نصفين.

كان الوقت قد تجاوز العصر عندما نظرت إلى ساعة يدي.. قمت من مرقدي ملتقطًا علبة الفوار.. أخذتها واتجهت نحو المطبخ.. كانت

مريم تمارس فعل الطبخ فألقيت عليها التحية ثم قلت:

- كيف حالك يا مريم؟

- الحمد لله.. بخير..

سقطت عيناها على علبة الفوار التي في يدي فتساءلت:

- هل تطلب مني شيئًا أصنعه؟

فقلت:

- لا.. سأصنع فواري بنفسي..

- لقد استغرقت اليوم في النوم كثيرًا.. على غير العادة..

ألقيت بقرصين من الفوار في نصف كوبين من الماء..

قلت:

- لقد نمت في الصباح.. وشاهدت أكثر الأحلام غرابة..

وانتظرت حتى ذابا ثم تناولت كلاً منهما على حدة دفعة واحدة..

بينما قالت هي بحياء:

- كانت هي البطلة؟!

فتساءلت بنظرة مستفهمة:

- من؟

– السيدة الجميلة التي تعلق صورها في كل ركن في البيت..

– صوفيا..

مررت الاسم بين شفتيها وقالت وهي تبتسم:

– اسم جميل.. أين هي؟

فقلت في بساطة:

– لقد ماتت..

فقالت بأسى:

– آسفة.. لم أقصد أن أذكرك..

– لا داعي.. فأنا لم أنسَها حتى أتذكرها.. إنها طوال الوقت في عقلي..

أنهيت جملتي الأخيرة وأنا أشرع في الجلوس حول المائدة..

– حدثني عنها..

– لماذا؟

أزاحت هي الأخرى كرسيًا وجلست بالمقابل لي..

– لأنك تحب أن تتذكرها..

فقلت بلا وعي مني:

- كانت جميلة.. كانت كاملة بالنسبة لي..

قاطعتني:

- لا.. لا تلقِ الكلمات فحسب.. أغمض عينيك وتذكرها..

نفذت رغبتها وقلت:

- كنت أود أن أقول لها: شعرك يبدو رائعًا.. إنه حقًا يتناسب معكِ.. أنتِ دومًا تبدين جميلة.. حقًا جميلة.. تمتلكين ابتسامة جذابة.. صوتك يسير بداخلي عندما تهمسين باسمي ليخفق قلبي بشدة وتجري السعادة على وجهي.. كانت تبدو كرؤى.. كما لو كانت قد خرجت من إحدى اللوحات.. كنت أود أن أقول لها: لقد التقيتك في كل مكان.. فوجهك من الصعب نسيانه بسهولة.. كنت أود أن أقول لها: يجب أن نبقى معًا ونموت معًا.. سأكون دليلك في هذه الدنيا وسنمارس الحب بكل أنواعه.. كان يجب أن نظل عاشقين..

تناهى إلى مسامعنا رنين جرس الباب.. ذهبت مريم لتفتح وبعد قليل عادت قائلة:

- هناك شخص يريد رؤيتك.. اسمه مختار..

* * *

## 5- مختار

Ⓜ Ⓞ Ⓚ Ⓗ Ⓣ Ⓐ Ⓡ

كيف يمكن للمرء أن يستعيد أحداث تلك التجربة المريرة؟

الحدث الذي لا تزال تذكره وتحتفظ به ذاكرتك وكأنه حُفر فيها بمسمار من نار..

ما زلت أتذكر ما حدث قبل عشرين عامًا..

في منزلي الصغير الكائن في أطراف المدينة الذي يسكن داخله أب وأم لطفلة لم تتجاوز بعدُ عامها الثاني تنطق كلمة بابا وتكررها بصعوبة.. إلا أنها تصر على التكرار والمحاولة بينما كنت جالسًا خلف مكتبي منهمكاً في كتابة بعض الكلمات على عجالة، كانت الحروف تخرج مرتبكة ومشوَّشة غير واضحة تصعب قراءتها.. وكنت أحاول أن ألاحق كل ما يدور في عقلي.. وضعت زوجتي ليلى فنجان الشاي على طرف المكتب خائفة أن ألوِّح بيدي وأسكبه مثلما حدث من قبل..

انحنت والتقطت الطفلة التي ما زالت تكرر كلمة «بابا» التي أصبحت تستمتع بها وتقولها بوجه فرح.. فزعها الطرق المتواصل المتعالي على باب الشقة.. نظرت نحوي وقد ارتسم الخوف على وجهها.. قمت من مقعدي في قلق وأشرت إليها بالدخول داخل الغرفة وأن تغلق بابها عليها ثم اتجهت بخطوات حذرة مغلفة بالحيرة إلى باب الشقة متسائلاً: من هذا الزائر الذي قصدني في هذا الوقت المتأخر من الليل؟! فتحت.. طالعني وجه شاب في الثلاثين من العمر يرتدي بدلته البيضاء المرصعة بالنجوم.. وقبل أن أنطق بكلمة باغتني الضابط بقوله:

– لا تقلق.. الموضوع ليس خطيرًا.. نريدك لعدة دقائق في قسم الشرطة وسوف نرجعك مرة أخرى..

وتساءلت في ريب:

– بخصوص ماذا؟

– ستعرف هناك.. من فضلك ارتدِ ملابسك وتفضل معنا..

– هل ستفتشون الشقة؟

– لا.. ليس لدينا أوامر بذلك..

حاولت أن أخرج نفسي قليلاً من هذا التوتر وأنا أحدق في طبنجته

التي تتدلى من حزام بنطاله وتخيلت أنني لو أدرت ظهري وانطلقت مسرعًا ثم قفزت بحركة خارقة من الشباك سوف تلتقطني رصاصة واحدة تثقب رأسي.

- لحظات أغير فيها ملابسي.. بعد إذنك..

مشيت بخطوات متثاقلة وعقل مشتت غير مدرك ما الذي فعلته حتى يتم استدعائي في هذا الوقت.. دلفت إلى داخل الغرفة التي تتنصت منها زوجتي على حديثي مع الشرطي.. أغلقت الباب مستندًا بظهري خلفه..

- هل ستذهب؟

قالتها بصوت مشروخ وهي حاملة الطفلة على ذراعيها.

- وماذا عليَّ أن أفعل سوى الذهاب؟! أخرجي بدلتي السوداء وأعطيني الطفلة..

تناولت منها الطفلة وضممتها إلى صدري وطبعت قبلتين على خديها.. وساد الصمت..

مضت عشر دقائق حتى كنت أربط رابطة عنقي بعدما انزلقت قدمي داخل حذائي الجلدي وصففت شعري ونظرت إلى صورة ابنتي

الساكنة للبرواز البلاستيك الموضوع على حافة الكومود. أخرجت الصورة من سجنها ووضعتها داخل جيبي واصطدمت عيناي بعيني زوجتي التي أصبحت على وشك هطول الدموع من عينيها التي تشع قلقًا وتمتمت: «ربنا يسترها».. أما طفلتي فما زالت تنطق كلمة بابا التي يأسرني رنينها.

خرجت إلى الشرطي وأنا أشير إليه بأني جاهز للذهاب فانطلق أمامي بينما أحكمت غلق باب الشقة وتبعته..

داخل قسم الشرطة:

جلست داخل غرفة فارغة إلا من مكتب وكرسي، مجبرًا نفسي ألا أفكر في شيء متوقَّع حدوثه. بعد وقت طويل جاء ذو البدلة الرمادية وبيده ملف يحوي أوراقًا كثيرة وضعها على المكتب ثم قال وهو يخرج علبة سجائر من بدلته:

- اسمك مختار..

فقلت بخوف وتردد:

- نعم.

أشعل السيجارة ثم جذب نفسًا نفثه إلى أعلى قائلاً:

- اسمع.. أنت متهم بارتباطك بمنظمة ثورة مصر الاغتيالية.. ولدينا تقارير أمنية تؤكد ذلك..

أشار إلى الملف الموضوع على سطح المكتب ثم أتبع حديثه:

- وتؤكد أنك متورط في محاولة اغتيال السيد عزمي رئيس حزب (...).. اعترف قبل أن ترى ما لم يخطر لك ببال.. أعدك أنك إذا قلت عن أسماء من ورطوك سنعفو عنك وسنشطب اسمك من سجلاتنا..

لم أدرِ ماذا عليَّ أن أقول الآن.. فقط توقفت قدرتي على التفكير وتلاشت الكلمات من رأسي.. أخذت نفسًا عميقًا وأنا أحاول استجماع ما تبقى من أعصابي:

- سيدي.. أنا لا أعرف شيئًا عمَّا تقول..

نظر الرجل بحنق إلى أعلى وهو يعض على شفتيه وقد بدأت أمارات العصبية تسير على وجهه..

- سيدي صدقني.. هذه هي الحقيقة.. ولا أعرف شيئًا آخر..

- مختار.. لا تضع نفسك في لعبة لا تعرف نهايتها.. ما أملكه من أوراق سيطيح بك إلى الهلاك..

ثم قال مشفقًا عليَّ:

- تذكر فقط زوجتك وطفلتك.. تذكر فقط..

أفقت من نوبة شرودي.. ووثبت إلى خيالي صورة الغد فتمنيت أن تنطوي هذه السنوات ويهل الغد مثل لمح البصر.. لكن سرعان ما أدركت عقم هذه الأمنية وأن شيئًا لن يعوضني عمّا فقدته وأني أصبحت حيًّا بلا حياة كجثة محنطة.

فذكرى هذه الحادثة ستظل دومًا تلكمني بقبضة من حديد أو تلهبني بسوط من لهب.

أحكمت رابطة عنقي ثم ضعت علي جرس منزل يوسف ..

* * *

*الاغتيال السياسي ظاهرة قديمة، هدفها إفناء الآخر، وغالبًا ما تخلق الأيديولوجيا المصداقية الفكرية والدينية للاغتيال السياسي، فترى القاتل في أكثر الأحيان مؤمنًا بمهمته في القتل.. لكن ليس كل من أطلق الرصاص أصاب، ولا كل من تلقى الرصاص والشظايا في صدره مات..*

**يوسف**

## - VII -

دخل مختار على مكتبي - الذي كنت أجلس خلفه - مثلما طلبت من مريم بعدما أخبرتها ألا تزعجنا.

دخل.. فرأيته طويلاً، ورابطة العنق معقودة بعناية وبدلته بالية ومجعدة ويتحكم في ابتسامته المحببة المتواضعة.

وقلت:

- إنني سعيد برؤيتك يا مختار.. تفضل بالجلوس..

جلس دون أن يسند ظهره لمؤخرة الكرسي.. وسألته:

- كيف حالك؟

فقال بنبرة يائسة:

- محبط قليلاً.. أشعر أنني لن أتخلص من الماضي.. ما زالت خطاياه ملتصقة بي.. ولن أتطهر منها أبدًا..

قلت مهوِّنًا:

- مختار.. أكثر الأمور مضيعة للوقت هي التي تقع خلفك.. لقد ذهب الماضي بغير رجعة..

- لديَّ ذاكرة جيدة.. أتذكر كل شيء منذ البداية.. حتى عندما كنت طفلاً صغيرًا أيضًا.

وقال بسخرية:

- هل تستيقظ كل صباح وأنت تشعر بالخجل واليأس حينما تكتشف أن وسادتك ممتلئة بالشعر؟ لقد مضى العمر بي أكثر مما كنت أتوقع..

وتجعدت جبهته، ولاحت في وجهه مسحة من الحزن والأسى.

وقلت له:

- يجب أن تعرف أولاً ما الدور المفترض منك أن تقوم به!!

- لقد انتهى دوري على خشبة المسرح.. وأصبح الموت هو المستقبل.. اللعنة.. إنني أحس برأسي يلتهب حياءً وخزيًا!!

- ........

وتساءل:

– هل تستطيع أن تقول لي لماذا يبكي الناس؟

– ألا تعرف؟ ألم تبكِ أبدًا؟

– لا.. منذ عهد بعيد.. لقد نسيت طعم البكاء..

– الناس تبكي لأسباب مختلفة.. عندما يموت شخص.. عندما يُترك الشخص وحده.. عندما لا يستطيع أن يتحمل المزيد..

– يتحمل ماذا؟

– المزيد من الألم..

– أتعرف ما الشيء المشترك بيننا؟ كل منا سقط.. لم نعد نرى مستقبلنا.. كل يوم يمر يزداد الضباب..

– أخبرني قصتك..

فقال في استنكار:

– ألا تعرفها؟!

– أحب أن ترويها أنت..

شرد قليلاً وكأن رأسه ازدحم بالصور وقال:

– سأحكي ما لا تعرفه.. وُلدت هنا.. والدايَّ توفيا وأنا في السادسة من عمري.. ووُضعت في ملجأ.. ثم خرجت وأكملت تعليمي الصناعي.. اشتغلت ميكانيكيًا.. ثم أحببت وتزوجت.. وأنجبت طفلة

رائعة.. لكني أخطأت عندما فكرت في الانضمام إليكم.. وكانت النهاية..

- هل كنت تحب السياسة؟

غالب التوتر صوته:

- في عام 67 كان عمري 12 عامًا.. وكنت في الاتحاد الاشتراكي، وكانت لديَّ وظيفة أثناء الحرب، كنت أنا وزملائي ننادي على الناس لكي يغلقوا النور أثناء الغارات، وكنا نقوم بدهن نوافذ المنازل والسيارات باللون الأزرق حتى لا تظهر لطائرات العدو..

- لماذا انضممت لنا؟

- لا أستطيع أن أنسى عدائي لإسرائيل.. كيف لي أن أنسى صديقي الذي استُشهد على أيديهم في 73؟ وصدقني هذا العداء غير مرتبط بأي زمن؛ لأنه حتى الذين لم يعيشوا الحرب عندهم الشعور نفسه ويمكن أكبر، وكنت أحلم بالتغيير..

- تغيير ماذا؟

- الواقع.. والعقول.. بأن تصبح فلسطين هي بوابة أمان مصر..

وقلت في نبرة لم تخلُ من سخرية:

- كانت لديك شجاعة للتغيير، لكنهم لم ولن يتغيروا.. فهذه

العقول علاها الصدأ ولا أمل في تنظيفها.. إن لعبة السياسة تُلعب من أجل عقول أخرى غير التي تقصدها.. وليست لها علاقة بفلسطين ولا حتى الشيشان..

وتساءل في مرارة:

– ولذلك أهدرتم دم مصري مثلنا.. بخلاف ما اتفقنا عليه في البدء؟

في نبرة حيادية قلت:

– لقد حاولنا كثيرًا بالطرق السلمية.. لكنه كان يناور مثل الذئاب.. وحاول ركلنا جميعًا من الحياة.. كانت وفاته تعني أن يسقط حزبه إلى الأسفل ونصعد نحن.. وكان يجب علينا أن نخوض الحرب.. لم نكن نرى سوى تلك الدرجة الأولى.. ولم نكن نرى سوي اعتلائها..

تمازجت لهجته المتسائلة بالغضب:

– ولماذا لم تخبروني؟

– كنا نعرف أنك سترفض بشدة.. وكانت صدفة جميلة أن نعرف أنه يصلح سيارته عندك.. وكان من السهل جدًّا إغواء أحد العاملين لديك بتنفيذ المهمة..

في ازدراء قال مختار:

- لقد أفسدتم كل شيء..

- حاولنا مساعدتك، وسعينا إلى أن تكون أقوال الشهود غير متطابقة مع تقارير الطبيب الشرعي.. فالقضية لم تسند إلا إلىٰ مجموعة من القرائن.. كما أنها تختلط بكثير من العواطف والأمور التي يلفها الغموض وازدادت غموضًا أكثر حتى وصل التحقيق إلى نقطة ميتة..

وتهدج صوته في يأس:

- لكني في النهاية دفعت الثمن.. وأنت لعبت معهم بذكاء لتنقذ نفسك..

- كل معركة يجب أن يكون لها ضحايا.. فالأشجار بحاجة إلى سماد لتنمو..

وهو يتهيأ للقيام:

- والضحية يتم اختيارها بعناية فائقة..

- المشكلة أن طلقة واحدة لم تكن كفاية لتنزع روحه..

- ولا لنزع روحي أنا الآخر..

* * *

*وما زالت سنوات الرصاص مستمرة.. إننا نتذكر أكثر مما نعلم..*
*الحكاية لم تكن أنت فقط.. الحكايات كانت كثيرة.. الفيلم كان طويلاً*
*ومؤلمًا.. الخوف من الأنفاس السيئة قادنا إلى الجنون..*

يوسف..

# 6- أكمل

Ⓐ Ⓚ Ⓜ Ⓐ Ⓛ

ابتسامتها.. هل حقًّا ماتت وهي معلقة على وجهها؟ هل هذه هي الرحلة التي كانت تقصدها؟ وهل هي الآن مع البشر الذين سيحدثونها باللغة التي لا تعرفها؟ ما هذا الجحيم الذي أعيش فيه منذ عرفت بمقتل بيرسفي؟ رأسي لم يعد يتحمل غيابها.. أريد أن أراكِ الآن.. أنتِ تسمعينني جيدًا.. أنا أعلم هذا.. كان يجب أن تكوني معي الآن.

كنت أبحث عن أشياء في هذه الحياة لها معنى، وكنتِ أنتِ المعنى.. البداية والنهاية كانت في عينيكِ..

البداية كانت في ذلك اليوم الذي قابلت فيه ياسمين. كانت تسير مع جمع من زميلاتها وهي خارجة من المدرسة فسِرت خلفها على مسافة قريبة منهن حتى تفرقن واقتربت منها وخرج اسمها هادئًا من فمي:

– ياسمين..

التفتت وتلاقت أعيننا وارتسمت ابتسامة خافتة على شفتيها فبادلتها الابتسامة نفسها وأنا أصافحها..

– كيف حالك؟

– أحمد الله.. أنتِ كيف تسير معكِ الأمور؟

كانت أقدامنا قد بدأت في التحرك مثل قطار يشرع في الخروج من محطته عندما قالت بصوت مأساوي:

– لا جديد.. الحياة كما هي.. لا تتغير أبدًا وليس هناك من يغيرها..

فقلت باهتمام:

– ماذا حدث؟ احكي لي..

– سأغادر مصر..

– إلي أين؟

– السعودية.. وهناك سأكمل دراستي..

– ولن أراكِ مرة أخرى!!

– لا أعرف!!

سرنا والصمت يكتم أفواهنا حتى أصبحنا على مقربة من بيتها..

- أستأذنك.. عليَّ السير بمفردي..

- تفضلي..

وتركتني لصدمة المفاجأة وهواجسي التي اشتعلت.

عدت إلى البيت.

أغلقت باب الشقة بعدما فتحت لي أمي، وراحت هي تكمل عملها في المطبخ.. ذهبت أنا إلى غرفتي أغير ملابسي.. نظرت من النافذة فتسمرت عيناي وتلاشت ياسمين من عقلي وأنا واقف مذهول من هول ما أرى.

كانت بيرسفي تجلس خلف زجاج النافذة عارية.. تلتهم السيجارة بين شفتيها.. تنظر إلى الدخان الذي يتصاعد إلى الأعلى.. ولم أستطِع أن أتمالك نفسي فذهبت إلى الحمام مسرعًا وصورتها معلقة أمامي حتى انتهيت.. عدت إلى غرفتي منهكًا.. تمددت على السرير وغرقت في النوم.

وفي اليوم التالي أوهمت أبي وأمي بأني خارج لكي أذهب إلى المدرسة لكني كنت قد اختبأت في حديقة المنزل حتى خرجا.. عدت إلى

غرفتي.. أخرجت المنظار من درج مكتبي ورحت أبحث عنها.. لكن كل النوافذ كانت مغلقة.. على ما يبدو أنها ما زالت نائمة.. أتى ساعي البريد وألقى في صندوق بريدها خطابًا فأخذني الفضول لمعرفة اسم جارتي الجديدة وأثناء اتجاهي نحو بيتها كان إيشارب يتطاير من النافذة حتى استقر علي الأرض .. أمسكته بين يدي وشممت رائحته .

بيرسفي.. مرَّرت الاسم بين شفتي وأنا أعيد الخطاب إلى مكانه وأخذت أتأمل منظر بيتها من الداخل عبر النافذة الزجاجية..

– هل أستطيع مساعدتك؟

كانت بيرسفي.. ارتبكت وأنا أقول:

– مرحبًا.. أنا أعيش في هذا الحي .. وهذا الإيشارب طار من النافذة ..

قلتها وأنا أمد يدي لها بالإيشارب .

– شكرًا لك ..

فتحت باب منزلها وقالت:

– هل تريد الدخول؟

دخلت.. سرت خلفها.. جلست على مقعد وأشعلت سيجارة أدير

رأسي في المكان.

- ما اسمك؟

- أكمل أكرم..

- أنت ابن أكرم باشا السياسي الشهير..

وهي تبتسم:

- والدك يخفيني كثيرًا..

- وأنا أيضًا أخاف منه..

- أكمل.. هل تستطيع أن تساعدني في أعمال المنزل؟ وسوف أدفع لك..

- بكل سرور..

قامت.. اتجهت نحو البار وصبت البيرة ورفعت كوبها وقالت:

- سيبدأ العمل من الغد..

- أنا مستعد..

شربت جرعة كبيرة من كوبها وقالت:

- أراك في الغد.

خرجت من عندها وأنا في قمة السعادة لما حدث.. لقد وجدت طريقة لأكون قريبًا منها.. هل حقًّا كل ما يتمناه المرء يجده؟

لكن أبي انزعج بشدة عندما علم باسمها وقال لي:

- إنها الوحيدة التي اقتربت ورأت وفعلت الكثير من الأشياء.. لقد كانت حياتها صعبة جدًا، لكنها ليست الشخص الجيد.

لكني لم يعجبني حديث أبي فقالت أمي محذرة:

- إنها مختلفة عنًّا.. وليست سوية.. لقد تركت ابنها حتى مات..

- ماذا حدث له؟

- لا يهم.. المهم أن تبعد عنها نهائيًّا..

لم أهتم بكلامها هي الأخرى وتركتهما وصعدت إلى غرفتي أكمل تلصصي عليها.

في اليوم التالي ذهبت إليها وكأني أكتشف السعادة وأعرف خباياها.. طرقت الباب.. فتحت لي بابتسامة مشرقة.. دخلت وأنا أغلق الباب خلفي.. صوت الموسيقى مرتفع جدًا فسألتها عن السبب فقالت وهي تقف في الصالة معصوبة الرأس بإيشارب ملون ينزل على جبينها:

- كنت أرقص..

- ........

- ترقص؟

أومأت برأسي علامة الإيجاب قائلاً:

- أرقص.

أزاحت الإيشارب من رأسها وأمسكت يدي.. وقد أنعشتها الموسيقى.. رحنا نرقص على الإيقاع وهي تحيط المكان بامتداد ساعديها.. وظللنا ندور ونتمايل على أنغام الموسيقى الصاخبة حتى شعرنا بالتعب.. حاولت أن أقبِّلها لكنها أبعدت وجهها عني.. وأشارت لي بأن نستكمل الرقص.. وظللنا نرقص حتى سقطنا على الأرض.. ضمتني إلى حضنها وأصابعها تتخلل شعري وقالت:

- قل لي نكتة.. أريد أن أضحك من الأعماق..

فكرت قليلاً ثم قلت:

- كانت هناك سيدتان تشاهدان نشرة الأخبار التليفزيونية، عندما قالت إحداهما للأخرى: لقد طالت نشرة الأخبار اليوم.. ردت الثانية: من يدري.. ربما كانت الحلقة الأخيرة؟

لم تعلق على النكتة وراحت تقول بنبرة لم تخلُ من الحزن:

- كان عندي ابن في مثل سنك.. كان يشبهك كثيرًا.

- عرفت أنه مات.. ما أسباب وفاته؟

- من أخبرك؟

- أمي..

وتساءلت:

- أين زوجك؟

- لقد ذهب بعيدًا.. صعدت روحه..

قالتها وهي تشير بسبابتها نحو السماء ثم أكملت:

- هناك الكثير من الناس في هذا العالم الذين يقولون إنهم لا يفهمون.. أنا كنت واحدة من هؤلاء.. وعندما فهمت أصبحت شخصًا غير جيد.. الكثير لا يرغب في التقرب إليه.. لقد هرب الجميع مني..

وراحت تبكي وتنشج نشيجًا خافت الصوت.. حتى نامت.. تركتها وعدت إلى البيت..

كان هناك أشخاص غرباء يذهبون إليها.. شكلهم مريب ولا أعرف كيف تعرف مثل هؤلاء! كانوا يسهرون عندها حتى وقت متأخر من

الليل.. هل كانت تمارس معهم الحب؟ لكن الشخص الوحيد الذي كنت أعرفه كان السيد يوسف جارنا.. *حتى أنت يا يوسف يا من تدعي أمام أمي الإخلاص والوفاء لزوجتك صوفيا!! أين أمي الآن لتشاهد من تحسده على حبه لصوفيا؟ أين هي الآن لترى من تعتبره من النبلاء؟ هل تعرفين ماذا يفعل النبلاء في بيت بيرسفي؟*

أتت سيارة مرسيدس سوداء فخمة نزل منها..!! هل حقاً هو؟ بيرسفي تعمل مع...!!

* * *

## - VIII -

*هل تهتم بالجرحى الآن؟*

*هل سيموتون قريبًا؟*

*هل ستحاول أن تنقذهم من الموت؟*

*إنه أمر عادي جدًّا بالنسبة لك أن تترك الناس يموتون..*

هكذا واصل ضميري الساخط مهاجمتي وأنا جالس خلف مكتبي وأيقظ كل سمك الذكريات الحزين. عندما أنظر إلى المرآة أشعر أنه ينظر نحوي بعينين ناريتين ويتمتم بكلمات كم تمنيت لو أفهمها.. أعتقد أنه يسخر مني ويضحك، يضحك..

انتبهت لطرق مريم باب حجرة مكتبي.. فأشرت لها بالدخول وهي حاملة صينية صغيرة في منتصفها فنجان قهوة وضعته علي مكتبي ثم

تساءلت:

– هل تطلب شيئًا آخر؟

نظرت لها بامتنان:

– تفضلي..

قلتها وأنا أشير لها بالجلوس.. جلست وعيناها ترنوان إلى الأرض..

– أخشى أن تشعري بالضيق والملل..

– لا تقلق.. سأكون بخير..

– وكيف صحتك الآن؟

– بخير.. أحمد الله.. وأشكرك على رعايتك لي..

وبلا مقدمات قلت:

– أتدركين ما خطئي الأكبر في هذه الحياة؟

فنظرت لي بأن أجيب عن تساؤلي.. فقلت:

– أنني لم أحكِ.. لم أُخرج ما بداخلي من ألم وحزن..

– احتفظ بها لنهايتك الأخرى..

– لا يهم أمر نهايتي الأخرى.. منذ أن شاهدتك وأنا أتساءل ما قصة هذه المرأة الحزينة التي تتقوقع داخل نفسها!!

سكتت مريم قليلاً وحنت رأسها كأنها تفكر كيف تبدأ الكلام.. لكنها فجأة رفعت نحوي عينيها وقالت:

– قصتي يمكن تلخيصها في كلمات قليلة: امرأة تواجه صدمة الطلاق.. ويصبح عليها أن تداوي جراحها.. وتتماسك من جديد.. أرأيت أنها حكاية بسيطة وعادية ومكررة؟ ألا يُخيَّل لكِ أنك قرأتها في جريدة في صفحة بريد القراء.. أو أنك شاهدت هذا في فيلم من قبل أو بمعنى أدق شاهدت أجزاء من هذا الفيلم؟

– احكي أكثر.. أخرجي كل السمك الحزين من داخلك.. فأنتِ تذكرينني بملاك صغير يوجد في كنائس أومبريا..

وظللت صامتًا وهي تروي ما حدث:

– تزوجنا عن حب.. كنا سعيدين على ما كنت أعتقد.. كنا نشارك بعضنا كل شيء.. حتى الفرح والحزن كنا نتقاسمه.. كان يقول لي: «كلما تقدم العمر بزواجنا أتخيلك كأمي».. وبعد سنوات أصبح عندما كانت تضمنا غرفة النوم كنت أشعر بأنه صامت ومهموم.. وكنت أحاول أن

أسأله ما به.. كان يتعلل بإرهاق العمل وبزيادة أعباء المعيشة.. كنت أقول له: دعني أعمل حتى أخفف عنك.. كان يضمني إلى حضنه ويقول لي: «لا» وحينها كنت أغمض عيني في سعادة وهدوء واطمئنان..

في يوم أتى من العمل باكرًا.. وكان يبدو عليه الارتباك.. فقابلته بابتسامة حب.. قال لي: اجلسي.. هناك موضوع أريد التحدث فيه معكِ.. ماذا حدث؟ لكن فجأة انخرط في البكاء وهو يقول: إن هناك فتاة تعرف عليها منذ عام وهو يحبها كثيرًا ويريد الزواج بها.

كانت الصدمة عنيفة وكأن زلزالاً حطم كياني، تجمَّد وجهي من الدهشة وتحجرت نظراتي، كان يحاول أن يستدر إشفاقي بدموعه وتبريراته.. لكنني أنا التي لم تستطِع أن تستدر سوى دموعها وأجهشت في البكاء وكأني أتمزق حتى أصبح جسدي غير قادر على تحمل الصدمة وسقطت على الأرض، وعندما عاد وعيي كان قد أنهى كل شيء وطلقني ورحل بعيدًا..

كان جفناها يرتجفان بسرعة عندما قالت بصوت متحشرج إلى حد ما:

كانت الحيرة قد قتلتني: «أي خطأ ارتكبته؟ أي ذنب؟ فقد كان

يطاردني كل شيء يتعلق به: ملابسه.. حذاؤه.. صورته.. أدوات الحلاقة.. ممارسة الحب».. حتى تماسكت وجمعت كل تفاصيله وألقيت بها في صفيحة الزبالة.

وفي يوم وجدته عائدًا إلى البيت وتحدث لي بصوته المرتعش نفسه وهو يقول: «لقد تركت زوجتي».. ثم صحح كلماته: «هي تركتني.. ما رأيك أن نعود لبعضنا؟»..

وفي منتهى الحزم قلت: «لا»..

لقد أصبحت قادرة أن أشق طريقي بنفسي..

ابتسمت أسارير وجهها وكأني أشاهدها لأول مرة ثم أكملت:

- التأمت الجروح وشُفيت وعدت إلى الحياة..

- الجروح عندي ما زالت مفتوحة.. وقد أرهقتني.. لم أعد أستطيع التحمل..

- هل تريد أن تحكي؟

ترددت بعض الوقت ثم قلت بنبرة اعترافية:

- لقد ذبلت ورقة التوت ولم تعد تستر شيئًا.. البداية والنهاية كانت في عقد الثمانينات.. عقد الأحداث المتلاحقة وبدايات الانهيار..

حقبة بجعبة محملة بالأحداث والهزائم والمذابح والتغيرات الجذرية.. فيها حدث ولا حرج.. بدأت بافتتاح السفارة الإسرائيلية بالقاهرة في فبراير.. اعتقالات سبتمبر الشهيرة.. اغتيال السادات.. مبارك رئيسًا.. اغتيال سياسي لتنظيمات إسلامية.. انتشار الحجاب ثم النقاب.. اجتياح لبنان.. مذبحة صابرا وشاتيلا.. خطف الطائرات.. قصف مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية بتونس.. حرب العراق وإيران.. ضرب المفاعل النووي العراقي.. حرب الاتحاد السوفيتي وأفغانستان.. زواج الأمير تشارلز.. ظهور خيار المصوبات في الأسواق (فخر إنتاج زراعات يوسف والي وما تلاه من ثمار مهجنة).. ظهور العيش الطباقي زنة 90 جرامًا.. تدشين قوانين الانضباط.. انتفاضة الأمن المركزي.. سليمان خاطر.. حادث السفينة أكيلي لاورو.. انتفاضة الحجارة.. استفحال الفساد وظهور وهروب الكثير من رجال الأعمال وما استتبعهم من تهريب ملايين الدولارات إلى بنوك أوروبا.. ظهور شركات توظيف الأموال.. أزمة الجنيه المصري وفتح سياط الغلاء وانخفاض الأجور.. إضراب عمال السكة الحديد.. إضراب الحديد والصلب.. إضراب إسكو... إلخ.. افتتاح مترو الأنفاق.. اغتيال ناجي العلي.. سقوط كتف «أبو الهول».. عودة العلاقات الدبلوماسية مع دول الرفض.. انهيار سور برلين.. وظهور وانتهاء ما

عُرف بتنظيم ثورة مصر.

كانت عيناها متسعتين بالدهشة:

- سيد يوسف!! كيف تستطيع حفظ هذا كله؟!

ودون أن أعلق أكملت في أسى وانفعال:

- علم إسرائيل يرفرف على أرض مصر بكل جرية بعدما أصبحت طابا المصرية وطابا الإسرائيلية.. صار الدم بين أعيننا ماءً.. ونسينا الرداء الملطخ بالدماء.. لم أستطع أن أقف وأتفرج على هذا الخزي.. وفكرت وقررت في تكوين منظمة باسم «ثورة مصرة»، وكان هدفنا الأول رفع العار وتنظيف تراب هذا الوطن من دنس الخنازير.. اغتلنا زيفي كيدار - مسئول الأمن في السفارة - وأتبعناها بإطلاق النار على ألبرت أتراكشي - المسئول السابق للموساد في إنجلترا - وزوجته وسكرتيرته الشخصية.. الحادث كان بالقرب من بيت السفير الإسرائيلي.. وفي مارس 86 شاركت إسرائيل في معرض الكتاب الدولي.. وقمنا باغتيال إيلي تايلور - مديرة الجناح الإسرائيلي بسوق القاهرة الدولية.

- يا الله.. ما هذه الوطنية كلها؟ كم أنت رائع يا سيد يوسف..

- إن الإنسان عندما يوضع في اختيار بين نفسه والآخرين يختار

نفسه.. لا أحد يختار الآخرين إلا إذا كان متأكدًا من أنه سيجد نفسه معهم.. وأنا اخترت نفسي ولم أجدها مع مختار.. عندما حاولنا اغتيال عزمي رئيس حزب (.......) لأنه كان يضيق الخناق علينا ويحاول بكل الطرق إسقاطي، تورط مختار من دون ذنب.. لم يكن مشاركًا معنا.. وتخليت عنه وتركته يواجه مصيره بمفرده وقضيت على كل أحلامه.. وقبل أن أقضي عليه قضيت على نفسي.. عندما علمت صوفيا بتلك الصفقة التي عقدتها مع النظام من أجل أن أخرج من القضية مقابل أن أصبح رجلاً لهم ينفذ أوامرهم.. سقطت صوفيا لم تستطع قدماها أن تحملاها وانهارت شرايين قلبها وتمزقت.. وقبل أن تموت قالت لي: إذا كنت تريد القتال.. فالحرب في هذا الاتجاه.. أشارة إلي قلبي .. وماتت وأكمامي مبللة بالدموع..

فكرت قليلاً ثم قالت بنبرة حيادية:

– من الصعب أن أسدي لك النصح.. لكن أحسن شيء هو أن تبكي.. حتى تتخلص من صراع الضمير والأنا.. ابكِ..

– ما فائدة الحياة إذا كان البكاء لا يفيد ؟ فلا فائدة من العيش.. لقد كان حزبنا حزب الشعب.. وها أنا قد بعته.. سوف أبكي على الشعب كله..

قلتها والدموع تريد أن تزفر من عيني.

* * *

## 7- مختار

Ⓜ Ⓞ Ⓚ Ⓗ Ⓣ Ⓐ Ⓡ

عندما نفقد الأمل.. نتحول إلى شخصيات بشعة وكريهة.

فقد ضاقت الدنيا ولم يعد هناك شعاع ضوء يشرق ليعلن عن فجر جديد.

الدنيا ظلام.. وليست هناك إضاءة إلا بعض لمبات الطريق.. وكان المقهى مغلقًا وإن كانت بعض الموائد الفارغة والمقاعد الخالية ما زالت في الطريق.. على إحدى هذه الموائد كان يجلس عازف الأوكورديون يستخرج من آلته لحنًا حزينًا يشكو قسوة الأيام.. تجاوزته دون أن أنظر إليه وظللت أسير قاصدًا البار وعندما وصلت إليه لم أشعر برغبة في الدخول.. تجاوزته وأكملت السير.

العالم لم يعد عالمي.. اختلطت رائحة الحق بالباطل، واختلطت رائحة العرق بالدم، واختفت الحقيقة في سراديب البيوت وعقول البشر..

ابنتي لن تعرف الحقيقة.. فماذا تعرف الصغيرة عن أبيها؟ فأبوها خائن وعميل ومجرد مدمن حاول أن يعيش دور البطولة.. ماذا سوف تعتقد؟ هل تغفر لي؟ هل تسامحني على غيابي؟ هل يسمح الحظ بمكان طيب لتبادل الحب؟ نعم سوف تسامحني قائلة: ماذا عنك أنت؟ ألم تتحمل الأيام كلها؟ ألم تقف مكانك بلا حراك تندب الأطلال وتبللك الدموع وتتقاذفك الآلام ويأكل منك الندم وتضرب الأكفاف بلحن الآهات على ما فات؟

مختار.. لم يعد أحد يهتم لأمرك.. الكل منشغل بالجري وراء لقمة العيش أو الهرب من جحيم الفقر.. لقد نسوك كما نسوا تراثهم وآثارهم وفضَّلوا أن يصبحوا وهابيين بنكهة نفطية.. لقد تغير الجميع وأنت يجب أن تتغير وأصبحت النقود هي من تتحكم في مبادئنا، وعقولنا أصبحت خاضعة لكل من يقول أنا سيدكم الأول.. ما هذا؟ ما هذا الجحيم الذي خرجت إليه؟

أين حلم الوحدة؟ آه لو كان قد تحقق.. آه لو أصبحنا دولة واحدة اسمها العرب.. لكن الرياح دائمًا عكس ما نريد.. لِمَ العبث؟ لقد ازدادت الأمور تعقيدًا أكثر.. بل أصبحت أكثر وحشية.. هناك أمام أعيننا دمرت العراق ولم يعد لها أية قيمة تذكر.. وفلسطين يدفع أولادها ضريبة

سكوت العرب وتعمدهم نسيانها بعدما احتضن مشايخها إسرائيل وقدموا لها القرابين مثلما يغدقون المليارات على أندية كرة القدم وتنظيم كأس العالم.. بينما الصومال وكأنها سقطت من فوق الخريطة فجأة تتضور جوعًا يا أيها العرب.. ثمن لاعب واحد كان كفيلاً بإحياء شعب بأكمله مثلما كان إلقاء نظرة على السودان كفيلاً بأن يمنعها من التقسيم ويجنبنا حرب الشمال والجنوب.

هل ندفع ضريبة خطابات عبد الناصر الاشتراكية..

أم ضريبة المادة الثانية التي أضافها السادات إلى الدستور..

أم ضريبة عصر خصخصة مبارك والليبرالية الجديدة؟

أفاقني نباح كلب من شرودي.. وجدت نفسي أمام بيتي القديم.. بيت زوجتي وابنتي.. وكانت هناك إضاءة في نوافذه فأخذت العزم على المواجهة.. فبعيدًا عن أي شيء فقد اشتقت إليهما كثيرًا.

ضغطت على جرس الباب.. وبعد برهة سمعت صوت أقدام مقبلة فانتفض الدم داخلي وتسارعت دقات قلبي وكدت أنصرف لولا أنها أطلت بوجهها البشوش من خلف الباب.. تسمرت قليلاً قبل أن تستوعب الشخص الذي أمامها وقالت وهي تجهش بالبكاء وترتمي في حضني..

قالت بنبرة لا تخلو من حنان واشتياق:

– مختار.. لقد كنت في انتظارك..

– وأنا أيضًا..

تمالكت نفسها قليلاً وقادتني إلى الداخل وقالت:

– تحب تشرب إيه؟

– هل سأعامَل معاملة الغرباء في بيتي؟

فقالت كالمعتذرة:

– نعم إنه بيتك.. لم أقصد.

– أين ابنتي؟

– لقد تزوجت من سنتين وسافرت مع زوجها إلى الكويت، حيث يعمل هناك.

– هل توجد صورة لها؟

فأشارت نحو الحائط الذي خلفي فالتفتُّ.. كانت هي مع زوجها في ليلة الزفاف.. وقلت:

– إنها تشبهك..

- وتشبه أباها أيضًا.. تفضل بالجلوس.

جلسنا متقابلين.. لكنها كانت تتحاشى أن تقع عيناها في عيني.

- كيف المعيشة؟

- مستورة الحمد لله.. ما يقدمه السيد يوسف لنا منذ دخلت السجن يكفيني ويكفي ابنتنا.. لقد ساعدها في استكمال دراستها.. وعندما علم بقرب زواجها قام بتجهيزها وأقام لها حفلاً على حسابه.. كان كريمًا جدًّا معنا أكثر مما تتصور.

- ربما هذا ما جعلني أتناسى ما فعله معي.. فلو كنت بالخارج ما كنت استطعت فعل هذا كله.

- على فكرة.. لم يكن هناك داعٍ للجواب الذي تركته.. كان يجب أن تأتي من دون مقدمات.. أنا لست منتظرة منك شرحًا لأي شيء.. كان يجب أن تطرق باب بيتي فور خروجك..

- كان عليَّ أن أستعيد لو شيئًا من نفسي قبل أن أراكِ.. خاصة بعدما انقطعتِ عن زيارتي..

- كان الأمر صعبًا عليَّ.. كان شيء لا أستطيع تحمله..

- كنت دائمًا أشعر بأن شيئًا قد حدث.. لكني لا أعرف ما هو..

- ..................................

- ماذا حدث؟

- لا شيء..

- هل هذا كل ما حدث؟

وفي يأس مرير تساءلت:

- هل هناك شيء أسوأ من هذا؟

فقلت بلهفة:

- إذًا هل سنعود؟

- هذا ما كنت أنتظرك من أجله.. موضوع العودة يشغل تفكيري منذ سنوات كثيرة.. وأعتقد أنني وصلت لشيء سوف يريحنا نحن الاثنين..

- ما هو؟

ترددت لحظات ثم قالت:

- يجب أن ننفصل..

- هل جُنِنتِ؟ لِمَ؟

- وهل يوجد ثمن آخر للخيانة؟

- أي خيانة؟!

- أنا من أخبرت يوسف بأن السيد عزمي يصلح سيارته عندك..

وقلت في لهجة مستغربة:

- وهل هذه خيانة؟ كانوا سيعرفون بكل تأكيد.. خاصة أن الأمر لم يكن سرًّا..

- مختار.. أرجوك طلقني.. أنا لا أستحقك..

- أنا متفهم ما حدث وأستطيع أن أستوعبه..

- وهل ستستوعب خيانتي؟

- هذه ليست خيانة.. لا تكبِّري الأمر..

وتهدج صوتها بالحزن:

- لقد خنتك.. خنتك مع يوسف..

- كيف؟ وأين؟ ومتى؟

- ................................

- هل حدث هذا قبل دخولي السجن؟ هل كنت تستغفلينني هذه

المدة كلها؟

وأضافت في حزنها:

- لا.. أقسم لك إنني طوال ما كنتَ معي لم أفكر في رجل غيرك.. لكني بعد فقدانك ومن فرط اليأس سقطت في الخيانة واستسلمت لإغراءات يوسف.. يوم قبضوا عليك وجدته يدق بيتي ويقول لي أحبك فلم أستطع أن أتمالك نفسي واستسلمت لغرائزي.. لكني ندمت بعد فوات الأوان وهو أيضًا ندم عندما علمت صوفيا.. كان الخبر قاسيًا عليها فسقطت ولم تقُم مرة أخرى..

- حتى وطني الصغير الذي كنت في شوق ولهفة للعودة إليه وممارسة الحياة معه أجده هكذا انتهك شرفه وكرامته وامتص أجمل ما فيه ليصبح ممزقًا ومجروحًا..

تركتها وخرجت أسير في الشارع لا أعرف مقصدي..

* * *

## - IX -

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر.. وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج.. فمن خوفهم ارتعد الحراس وصاروا كأموات فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ها هنا؛ لأنه قام كما قال.. هيا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعًا فيه واذهبا سريعًا قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات.. ها هو يسبقكما إلى الجليل.. هناك تريانه.. ها أنا قد قلت لكما.. فخرجتا سريعًا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه.. وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا بيسوع لاقاهما وقال: سلام لكما.. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له فقال لهما يسوع: لا تخافا.. اذهبا قولا

*لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني.. وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم.. وأما الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل؛ حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.. آمين.. آمين..*

أغلقت إنجيل متى وعيناي تغرورقان بالدموع.. فقد تبعثرت الكلمات وتمزقت وضاقت العبارات.. والصداع يزحف بلا رحمة..

أصبحت وسط معمعة كبيرة.. حياتي أصبحت ثقلاً عليَّ.. إنها إصابة بالضربة القاضية.. لعل الموت مقبل في الطريق ليداوي تلك الروح المثقلة بالجراح.. ولكن متى سيأتي تحديدًا لينقذني من هذا الملل؟ الملل، الملل.. لم أعد أستطيع الغناء، لا أستطيع الضحك، لا أستطيع البكاء.. *لكن*

*تستطيع أن تحكي*.. أحكي عن ماذا؟ *أكرم.. هل تذكر ما أخبرك به؟*
اصمت.. *لكنك قلت ستقول الحقيقة حتى لو كانت بلا جدوى.. فقط أخبر نفسك بالحقيقة*.. سأقول حتى لو كان بلا جدوى..

* * *

في ذلك اليوم زارني أكرم في بيتي، كان يبدو عليه التوتر وفي يده بعض الأوراق.. اصطحبته إلى المكتب وهناك عرضت عليه صناعة فنجان قهوة فرفض وقال بنبرة حاسمة:

- اجلس.. هناك أمر مهم أريد أن أخبرك عنه..

ثم تساءل:

- ما الذي تعرفه عن بيرسفي؟

- ماذا تقصد؟

قدم لي الأوراق التي في حوزته قائلاً:

- اقرأ هذا..

كان تقريرًا كُتب باللغة العبرية فنظرت إلى أكرم مندهشًا فأشار إليَّ بأن ألقي نظرة على ما بعدها.. فظهر التقرير نفسه وقد تُرجم للغة العربية وكان محتواه:

*ربما هي المرة الأولى التي نجحت فيها أجهزة المخابرات الإسرائيلية في فتح علاقة يومية ومستقرة ودائمة مع أي صحفي مصري قبل بيرسفي رئيس تحرير (........) اليومية المصرية والمقالات التي كانت قد كتبتها في مؤسستها تحت عنوان «شبه جزيرة سيناء قاعدة إرهابية ضد السلطة المصرية».. قد كانت من إنتاج أقلام ضباط الاتصال الإسرائيليين الذين اتصلوا به وأرادوا أن تنشر تلك الموضوعات بشكل بارز وأنهم أرادوا أن يظهروا أن حماس في قطاع غزة تشكل خطرًا استراتيجيًّا للمصالح الإسرائيلية والمصرية على حدٍّ سواء وأنها منطقة تشكل تهديدًا مستمرًّا لحالة الاستقرار المصرية ولحالة الأمن الدولي لإسرائيل ومصر. إن عملية إطلاق الصواريخ التي وقعت في أبريل 2010 وقام بها نشطاء من حماس انطلاقًا من شبه جزيرة سيناء تجاه إيلات والعقبة شكلت نقطة تحول تفتح من جديد النقاش الجاد حول تحول شبه جزيرة سيناء المصرية لقاعدة أمامية متقدمة لكل من إيران ومنظمة القاعدة ضد إسرائيل، وهو ما يساعد على إلزام النظام المصري باتخاذ قرار استراتيجي لمعالجة الظاهرة وإبراز أن أحد أهداف المنظمات الإرهابية العاملة والنشطة في سيناء تعمل لأجل إسقاط نظام الرئيس المصري حسني مبارك..*

رفعت عيني نحوه في دهشة.. أشار لي أن أستكمل القراءة:

*وافقت «بيرسفي» العضو البارز في لجنة السياسات بالحزب بعد حديث مطول ومستمر منذ عام 1995 على مساعدة إسرائيل في حربها ضد حماس، وكذلك في مواضع أخرى أكثر حساسية.. وقد أكدت بيرسفي أن عمليات حزب الله في مصر كانت جزءًا من مؤامرة كبيرة للمحور المنتمي لإيران ضد مصر وأن هناك جهودًا إيرانية لإقامة تحالف إقليمي مشكل من كل المنظمات والعصابات لتعمل تحت قيادة واحدة لحزب الله.. ولقد طلبت إسرائيل من بيرسفي الضغط بواسطة مقالاته بشكل غير مباشر على الحزب الذي ينتمي إليه حتى يدفعه للعمل ضد إيران وحماس وحزب الله في مصر ولكي يشكل بمقالاته ضغطًا ثقافيًا يساعد إسرائيل..*

واختتم التقرير بأن بيرسفي على استعداد دائمًا لمساعدة إسرائيل..

كنت أقرأ بنفس مضطرب.. وعندما انتهيت بدا وكأني أرجع من مكان قصي وزمان سحيق.. وشعرت بالصداع يزلزل رأسي.. قام أكرم من مقعده يشرع في الخروج وقبل أن يتحرك قال:

– المزيف يجب أن يموت..

لم يكن صعبًا أن أفهم ولكني حاولت أن أقطع كل شك.. وتأكدت من أن بيرسفي التي ولدت في 25 نوفمبر 1955 والتي تشغل منصب

عضو مجلس الشورى المصري وهي المحرر الأول ورئيس تحرير (........) المصرية والتي شغلت أيضًا منصب عضو المجلس الأعلى للصحافة بمصر وكانت عضوًا بمكتب الإعلام بالحزب بمصر وتعد الأهم بين كل أعضاء لجنة السياسات بالحزب.. أنها خائنة..

كنت قد كثفت اتصالاتي مع بعض رجال المخابرات والمسئولين في الدولة للتأكد من الحقيقة والوثائق التي كانت بحوزة أكرم.. ولمح لي البعض بصدق ما تحويه الوثائق لكن دون تأكيد أو نفي.. وانتهت حيرتي عندما أخبرني أحدهم أن هذه الوثائق صحيحة وسريه للغاية لا أعلم كيف حصلت عليها..

* * *

ذهبت إليها في الجريدة.. وعندما أخبرتها السكرتيرة بوجودي رحَّبت بي على الفور وخرجت بنفسها تستقبلني.

أغلقت باب المكتب وقد غمرتها السعادة وهي تقول:

– كنت أفكر بك..

– وأنا أيضًا.. لم تغيبي عن ذهني طوال اليومين الماضيين..

ثم تساءلت:

– بيرسفي.. من أنتِ؟

– من أنا؟ هل بعد هذا العمر كله تسأل من أنا؟

– أعتقد أنني لم أعرفك جيدًا.. بيرسفي.. من الذي منحك الحق لتفعلي بي هذا كله؟ أنتِ من تطعنينني في ظهري.. لقد خدعتني..

– أنا لا أفهم عمَّا تتحدث.. وهل سأخدع نفسي؟ يوسف.. هل بعد هذا كله لا تعرف ماذا تعني لي؟

أخرجت الوثيقة من جيبي وأعطيتها لها.. وعندما بدأت تقرأ كانت مصدومة ورفعت عينيها نحوي قائلة:

– بيرسفي.. عميلة لدى الموساد.. بيرسفي خائنة.. بيرسفي بنت كلب.. هل لديك شيء آخر ترغب في إضافته إلى الساقطة التي تُدعى بيرسفي؟

– لماذا؟

– الحياة دائمًا تفرض أشياءَ لم تكن تخطر على بالنا.. أنت لا تعرف كل شيء.. ولا أستطيع أن أشرح لك..

– كم يدفعون لكِ؟

– ومنذ متى وبيرسفي تهتم بالنقود؟

- وهل الخيانة لها دافع آخر غير النقود؟

- أنت لا تعلم شيئًا.. ولن تدرك.. فأنت من سلالات البكوات والباشاوات.. وقبل أن تحاسبني حاسب نفسك أولاً يا مَن تدعي الشرف والفضيلة والنضال..

- لكني لم أتواطأ مع الصهاينة ولا مع أعداء الوطن..

ضحكت ساخرة من حديثي قائلة:

- أعداء الوطن!! كم أنت مثير للضحك يا يوسف.. تعقد صفقة مع النظام من أجل أن تنجي بنفسك من جرائم الاغتيال.. خاصة محاولة اغتيال عزمي رئيس حزب (........)!! تقضي على مختار وزوجته كما قضيت على صوفيا.. أعداء الوطن!! هل ما زلت تصدق نفسك أنك من شرفاء هذا الوطن؟ كم أنت مثير للضحك!! تتاجر بأوجاع الناس ونقاط ضعفهم حتى تصل إلى ما تريد.. تخبرهم بأنك منقذهم الأول وأن دمك فداء لهم وهم يصدقون ويصفقون..

صفقت بحرارة وأكملت حديثها الساخر:

- أعداء الوطن هم الصهاينة.. أعداء الوطن من يقتلون الفلسطينيين ويدمرون لبنان ويسرقون بترول العراق.. هل هؤلاء فقط من تعرفهم من

أعداء الوطن؟

– بيرسفي.. ألا تلاحظين أنك لم تجيبي عن سؤالي؟ لِمَ فعلتِ هذا؟

– لأنني من أعداء الوطن...

* * *

*اتصال هاتفي:*

– كان لديها مفكرة تكتب فيها كل شيء.. هل تعلم ذلك؟

– نعم.. أعلم..

– لقد كنت أظن أنك ستحطم هذا النوع كالعادة.. حاول إراحتها ولنرَ إلى أين سنصل..

*اتصال آخر:*

– لقد تعاقدت بيرسفي مع دار نشر من أجل نشر مذكراتها.. وقد تسربت بعض الفصول من الكتاب إلى الصحف.. يجب أن تتصرف.. كلما كان أسرع كان أفضل..

* * *

رن الهاتف فرفعت السماعة فجاء الصوت خائفًا:

- لقد قتلت.. بيرسفي..

نظرت نحو مريم - التي كانت تتناول معي العشاء في المطبخ - وأشَرت إليها بأن تتركني بمفردي ففعلت.

- هل تأكدت بنفسك؟

- نعم.. الخبر سيذاع بعد قليل في كل وكالات الأنباء..

- إذًا ادفع لهم ما تبقى من حسابهم.. وأخبرهم بأن يتركوا البلد ويسافروا بعيدًا وأخبرهم بأنني لا أريد رؤيتهم مرة أخرى ولو شاهدت أحدًا منهم سأقتله بنفسي.. أسمعت؟

أعدت السماعة إلى مكانها وأنا أشعر بأن شيئًا ثقيلاً يزحف على قلبي والصداع يدب مرة أخرى ويكاد يفرتك رأسي.

خرجت إلى الصالة.. كانت مريم جالسة تشاهد التلفاز فقلت لها:

- هاتي قناة إخبارية..

اختارت واحدة فلم يكن عليها شيء فأشَرت إليها باختيار أخرى وأخرى.. حتى كانت هي بيرسفي تتصدر الشاشة بوجهها.. كانت تبتسم وهي ممددة.. هامدة.. وغزير الدماء يغرق رقبتها وإيشاربها الوردي..

*بيرسفي.. يمكنك الآن أن تقولي إنك سعيدة.*

* * *

لعنة الله عليك.. أكان لا بد أن تذكرني؟ كنت أعتقد أنني نسيت هذا كله في سراديب عقلي.. إنك ملعون.. ملعون.. كلكم ملاعين.. أنت وبيرسفي ومختار وليلى وأكرم.. حتى صوفيا.. كلكم ملاعين.. اذهبوا إلى الجحيم أيها الحمقى.. إلى الجحيم..

لقد أصابني الضعف من قلة الأكل.. نهضت من الفراش وفي الحال أخذت أبحث بخطوات مترددة مهزوزة عن الحائط لأتشبث به.. وشعرت بألم عميق طاحن في رأسي وارتفعت درجة حرارتي.. عندئذ استسلمت وعدت مرة أخرى إلى سريري وسمعت صوت مريم يأتي إليَّ مثل الحلم:

– إنك تنهك نفسك وسوف تسوء الأمور..

– لا تخافي.. أنا بخير.. فقط أريد النوم..

* * *

# 8- بيرسفي

Ⓑ Ⓔ Ⓡ Ⓢ Ⓘ Ⓥ Ⓔ Ⓨ

يوم مقتلي لا ترهق نفسك بمعرفة الحقيقة؛ لأنك لن تصل إليها.

ما سأذكره كان يعيش بداخلي منذ زمن بعيد لا أدري من أين جاء، لكنه جاء والسلام.. أتمنى ألا أجد نفسي أبرر مواقفي وأسخر الحقيقة لكي أظهر أمامكم بريئة.. لا.. أنا سأقول الحقيقة.. لقد عجزت أن أقولها لـيوسف لكني سأقولها هنا على الورق حتى لو كانت بلا جدوى..

ما سأذكره حدث في فترة كنت أعتقد أن الحياة تكافئني بعدما عانيت فيها وذقت المر.. أهدتني وظيفة في صحيفة حكومية بمجرد تخرجي وأنعمت عليَّ بزوج كان يعشقني وكنت أعشقه وأجمل الهدايا كانت طفلي الصغير الذي جعلني أقول: لا حزن بعد اليوم.. سأكتفي بصوتك يا بني لكي أشعر بالسعادة والمرح.. لكنها صعقتني بهذا الشخص

الذي يدعى عزمي رئيس حزب (.......) - ليتك يا يوسف أنهيت حياته وخلصت البشرية منه إلى الأبد - أيامها كان واحدًا من كبار رجال السياسة في مصر وله ثقله ونفوذه.. فقد تقلد أمور وزارتي الإعلام والسياحة لسنوات وتركهما بمزاجه لكي يتفرغ لأعمال حزبه الذي أنشأه هو ومعه عدد كبير من مؤيدي النظام.. ذهبت إلى مكتبه وهناك أظهر وجهه الحقيقي الذي لا يعرفه أحد وطلب مني أن أتعاون مع الموساد الإسرائيلي والمخابرات المصرية فلم أفهم.. اعتقدت أنه يريد تجنيدي كعميل مزدوج.. لكن عندما أخبرني بالحقيقة بأني سأتعاون مع الموساد بقلمي ومع المخابرات بجسدي.. لم أتمالك نفسي وصفعته.. قوي على غضبه وتناول سيجارة من فوق مكتبه وأشعلها وهو يجلس خلف مكتبه وقال لي:

- اجلسي.. واسمعي.. واعرفي حجم ما هو مقبل..

كان جسمي كله يرتعش والخوف يكاد يوقف دقات قلبي.. جلست وأنا أزدرد ريقي..

أخرج عدة شرائط فيديو من درج مكتبه ووضعها أمامي قائلاً:

- لو شاهدتِ واحدًا من هؤلاء سوف تقبِّلين قدمي وتلعنين اللحظة

التي صفعتني فيها..

- ..........................

قام ووضع واحدًا في آلات العرض.. وكانت الصدمة..

- ............................

- أعتقد أن هذا يكفي..

- ..............................

- ليس هناك داعٍ نصور لكِ فيلمًا آخرَ.. فرج ليس موجودًا يا حلوة.. على فكرة.. أصابعك ناعمة جدًّا..

قالها وهو يضع يده مكان علامات يدي على وجهه.

وسقطتُ على الأرض فاقدة الوعي...

هذا القذر استدرجني.. كان يكلف أحدهم بوضع المخدر لي في الشراب.. لقد وقعت في مصيدة يصعب الإفلات منها.. ما هذه المصيبة يا بيرسفي؟ إنه ليس فيلمًا واحدًا.. إنها **18** فيلمًا.. هل سيتحمل زوجك هذا العار؟ وطفلك ماذا يفعل عندما يكبر ويرى جسد أمه الرخيص..

كان يجب عليَّ أن أستجيب لابتزازه.. استسلمت له وأصبحت مثل الدمية يحركها كيفما يشاء.. وخسرت زوجي وبعد فترة فقدت ابني..

رماني في طريق يوسف.. وكنت أعلم أنه كان يصورنا ونحن نمارس الحب.. وحاول بتلك الشرائط أن يبتز يوسف ويخضعه لسيطرته.. مما جعل يوسف يخطط لاغتياله.. لكنه مثل القطط بسبع أرواح.. لم يقدر أحد عليه.. وانتقامه كان سيصبح مزلزلاً.. ولولا تدخل الرئيس في تلك الفترة لكان يوسف في خبر كان، لكنه كان سعيدًا بأن يرى يوسف منكسرًا وخاضعًا.. حتى إنه قال له مرة:

– أنا أعرف كيف أصنع العاهرات وأولاد القحبة..

لا أعرف أسباب هذا العداء الذي كان بينهم.. لكن ما أعرفه أنه كان حزينًا جدًّا على موت زوجة يوسف السيدة صوفيا.. كانت المرة الأولى والأخيرة التي أرى فيها دموعه.. من الممكن أن يكون قد أحبها.. لكن هل مثل هذا له قلب ليعرف الحب والعشق؟

لا يجوز لك أبدًا أن تسأل الآن ما الذي جعل لـعزمي هذا التأثير كله في صناعة القرار؟ هذا سؤال ساذج في موضع ساذج.. فعزمي هو الرجل الأقرب إلى قلب الرئيس، وهو الرجل الأكثر اطلاعًا على أداء الحكومة، وهو الرجل صاحب القرار في الحزب.. مما سهل الكثير لتنفيذ خطط الرئيس.. فهو الأذكى بين رجال الرئيس كلهم.. يعرف متى يتكلم ومتى يصمت.. فكيف إذًا لا يكون له مثل هذا التأثير؟

رن جرس الباب.. فتحت.. قابلتني لكمة قوية في وجهي سقطتُ إثرها.. كان زوجي السابق.. معشوق قلبي.. قال لي:

- يا بنت القحبة.. أفتقدك.

قلت وأنا أضغط على مخارج الحروف وأنا أبكي:

- لا أستطيع أن أقضي حياتي في حبك..

- ألا تفهمين؟ بين يديك أهم ما في الحياة.. رجل يحبك بصدق.. لديَّ استعداد للموت في سبيلك.. كما لو كنتِ المرأة الوحيدة على هذه الأرض..

- ابعد عني..

- إنكِ تهدمين كل شيء.. سأظل تعيسًا دائمًا.. بيرسفي.. عندما يوجد الحب لا يهم ما عداه.. مم تخافين؟ أخبريني.. إنكِ حشرة تعيسة ستموتين وحيدة.. أنا إنسان سيئ الحظ لأنني التقيتكِ..

وتركني وخرج.. والألم يزداد كلما حاولت أن أحرك فكي.. والدموع تنهمر..

أتمنى أن يمهلني القدر حتى أتذكر كل ما بداخلي.. أتمنى أن يكون القدر هذه المرة رحيمًا بي ويترك كلماتي ترى النور.. فكل شيء من حولي تم تطهيره دون ترك أي أثر..

* * *

***مترجم اللغة الفرنسية.. عميل جُنِّد لاستدراجها.***

***تظاهر بأنه فرنسي.. وعلى هذا الأساس اتصل ببيرسفي بخصوص عمل يخص الجريدة وتعرف عليها وتكرر اللقاء.. ارتاحت له ووثقت فيه وأحبته.. على الرغم من أنها متزوجة ولها ابن.. حتى إنها قالت له سأهرب معك بعيدًا.***

***في يوم قال لها إنه ذاهب إلى الطبيب وعرض عليها الذهاب معه وهناك كان كوب من العصير به المخدر الكافي لإحكام القبضة عليها أثناء العملية الجنسية.***

***وهكذا تمت السيطرة على بيرسفي وإذلالها بشرائط الفيديو.***

مجهول

الجميع فشل في مواجهة السيد عزمي الذي نجح ببراعة يُحسد عليها في الإفلات من جميع المؤامرات السياسية التي دُبرت له.. حتى عندما حاول يوسف اغتياله كان الفشل مشرقًا.

حتى الرئيس وجد نفسه مجبرًا على التخلص من بعض رجالاته قبل انتخابات الرئاسة الماضية بعد أن اكتشف عدم قدرته على تحمل أعبائهم وفسادهم.. لكنه لم يستطع التخلص من السيد عزمي الذي امتلك وحده مفاتيح لأبواب كثيرة أغلقها بنفسه إذا تم فتحها ستزلزل الأرض من تحت أقدام الرئيس ونظامه.. كما أنه جعل النظام في اشتياق دائم لمهارته وبراعته في التخلص من الأزمات التي كانت من الممكن أن تؤدي إلى انفلات سياسي وأمني غير مضمون.

فهو يمتلك جميع الخيوط التي تجعله دائمًا في بؤرة الأحداث.. بل يحركها مثل العرائس ليبقى وحده القادر على خلق مساحات يتحرك فيها كما شاء.

*بمهارته أيضًا يجيد التخلص من أعدائه ببطء.. لم يكن يعنيه أن يُسجن أو يُشنق يوسف أو حتى تسوء سمعته عندما أعطاني الوثائق التي تدين بيرسفي في تعاملها مع الوساد.. لكنه كان يريد أن يستمتع بعذاب يوسف وهو في أيامه الأخيرة..*

*فهو كان يدرك جيدًا أهمية الدور الذي يلعبه..*

أكرم

## 9- أكمل

Ⓐ Ⓚ Ⓜ Ⓐ Ⓛ

ظللت لعدة دقائق مذهولاً من تلك الشخصية التي دخلت بيت بيرسفي.. لم أكن أصدق أن عزمي رئيس حزب (.....) الذي نجا من محاولة اغتيال في أواخر الثمانينات على علاقة بها.. كان رجلاً ذا نفوذ كبير كما كنت أسمع من أبي.. سلمت عليه.. كان يقول إنه هو من أنهى حياة السيد يوسف السياسية.. أجلسه مثل النساء في البيت.. قبلته.. وكان يقول أيضًا إن أمثال هؤلاء يجب أن تتجنبهم وإياك أن تخطئ أمامهم.. فإنهم يعرفون كيف تُطبخ الأحداث وكيف تُدار الأمور.. إنه يعتصر نهديها..

تركت مكاني وتمددت على السرير.. أفكر.

هل كانت حقًا بحاجة إلى تأمين معيشتها؟ ولماذا لم تهرب من هذه الحياة وتذهب بعيدًا حيث توجد الملائكة؟ الجميع يقول عنها أشياءَ سيئة

وهي ليست كما يعتقد هؤلاء الجمقى.. هل ذنبها أن جسمها جميل؟ عندما يراها الرجال تضيق سراويلهم، فجأة لا تسعهم ملابسهم.. أين أخطأت؟ وما ذنبها؟ إننا نحدثها كعاهرة.. وتغتصبها أعيننا.. وهي لا أحد يشعر بها بعدما أهملت الدموع في عينيها..

ظهر شخص غريب في حياتها قالت لي عنه إنه صحفي ومذيع أخبار في التليفزيون الحكومي.. لكنها لم تذكر اسمه عندما سألتها.. استطاع أن يزرع في رأسها فكرة كتابة مذكراتها الشخصية وعرض عليها مبلغًا ضخمًا.. وقال لها إن هناك ثريًّا عربيًّا سوف يتحمل تكاليف النشر في كبرى دور النشر.. قالت لي إنها ستفتح باب جهنم، لكنها هي الحقيقة ويجب أن يسمعها الجميع.

نعم هي الحقيقة ولا شيء سواها..

تغيرت أحوالها.. اختفت ابتسامتها وأصبح هناك رعب يسكن عينيها..

طلبت مني ألا أقابلها مرة ثانية، وأخبرتني بأن عملي لديها انتهى.. فطلبت منها أن نرقص معًا لآخر مرة.. لم يكن وجهها مشرقًا كما اعتدته.. وابتسامتها كانت تتلاشى بين وقت وآخر.. لكننا رقصنا

ومرحنا حتى التعب..

- هذه المرة سأوصلك حتى فراشك.. يجب أن أطمئن عليكِ قبل الرحيل.

أخذت يدها إلى غرفة نومها وأشرت إليها بأن تستلقي:

- انسي كل هموم الماضي.. يجب الآن أن ترتاحي..

- احكِ لي حدوتة حتى أنام..

- أغمضي عينيكِ واسترخي..

بدا وجهها جميلاً جدًّا.. كانت مثل ملاك نائم.. ورحت أحكي لها:

- كان يا ما كان.. وجد ذئب عجوز وابنه مأوى لهما وسط الركام أثناء عاصفة جبلية ممطرة.. وبعد أن هزمهما الجوع، لفظ العجوز لابنه وصيته مع أنفاسه الأخيرة: تذكر هذه الكلمات جيدًا.. لا تصدق أحدًا في أي وقت ولا في أي مكان مهما قدم إليك من وعود، أعطِ أنت وعودًا كاذبة وتصنَّع الإخلاص والثقة، سيصبح الجميع ممتنًّا لك حتى إن لم تفِ بها.. استخدم السبل كلها ضد من يقف في طريق بقائك.. ولا تنسَ يا بني — للحظة – أننا ذئاب.. هز الذئب الصغير رأسه فواصل العجوز: لقد دفنت

أيكة صغيرة في حفرة تحت هذا الركام بعد أن شربت دمها، وبعد موتي يمكنك أن تحصل على ما تبقى.. دمعت عينا الذئب الصغير تأثرًا وامتنانًا لوالده الذي استمر قائلاً: وأوصيك يا بني بعد أن أموت، بأن تدفنني في حفرة عميقة حتى لا تأتي الحيوانات الأخرى وتنهش جسدي.. وعده الصغير بأن يفعل كما أوصاه.. ثم مات الذئب العجوز.. استمرت العاصفة العاتية.. ولم يتوقف سيل المطر.. وعندما أوشك الصغير على الموت جوعًا، مزَّق جسد أبيه والتهم جزءًا كبيرًا منه..

كانت بيرسفي قد ذهبت في النوم.. وراق لي بشاشة وجهها وأكملت حكايتي:

– لقد كان يعرف جيدًا أن العجوز يخدعه.. وبالطبع لم تكن هناك أيكة.. وأن يلتهم أباه ميتًا لكي يظل هو على قيد الحياة لدليل على أنه ذئب حقيقي!! أتعرفين طائر الأيكة؟ هو طائر الحب.. فهو يلحن لزوجته ويقال إن الذكر أفضل من الأنثى.. الأيكة هو طائر الحب والشوق.. أتعرفين إذا مات أحدهم يمتنع الآخر عن الطعام والشراب حتى يمرض ويموت هو الآخر؟ «يا حبيبًا زرت يومًا أيكه.. طائر الشوق أغني ألمي».

قلت بيتًا من قصيدة إبراهيم ناجي المقررة على النصوص الدراسية

وطبعت قبلتين على وجنتيها.. ومددت يدي أطفئ نور الأباجورة.. لفت انتباهي وجود مفكرة صغيرة ولا أعرف ما الذي جعلني آخذها وأضعها في جيبي قبل أن أتركها وأرحل بلا عودة..

* * *

لم أحاول قراءة شيء من مفكرتها الخاصة.. كنت فقط أكتفي بمشاهدة خطها الذي أعجبني، كنت أرى فيه لون ابتسامتها الهادئة.. لم أحاول قراءة أي شيء.. فأنا أيضًا أخاف الحقيقة.

* * *

قبل ذهابي إلى المستشفى للعلاج زارها بعض الأشخاص.. هددوها واعتدوا عليها بالضرب.. كانت تتألم ولم يكن أحد معها ينقذها.. ولم أكن أستطيع أن أفعل لها شيئًا.. لا كنت أستطيع ولكني جبان.

لم يجد فريق التحقيق أي صفحة من تلك المذكرات المفقودة التي اعتقدوا أنها السبب الرئيسي وراء الجريمة..

وما زالوا يبحثون.. وسوف يظلون يبحثون عن المذكرات وعن الحقيقة.

* * *

- X -

– لقد راودني كابوس رهيب الليلة الماضية.. حاولت أن أهرب.. لكن كانت هناك هذه النباتات التي هاجمتني.. كان الأمر مفزعًا.. ألقوا بأنفسهم عليَّ وحاولوا قتلي وكان بعضهم يطعنني بآلات حادة وقبل أن أموت استيقظت.

قالت لي مريم:

– إنك ترهق نفسك أكثر من اللازم.. تتوتر لأسباب انتهت وذهبت مع النفايات.. أنت تحلم بكوابيس لأنك تريد ذلك.. كل حياة مهما كان بؤسها لا تستحق أكثر من مجرد الوجود الخفي في عالم كل شيء فيه منظم بطريقة فوضوية.. كلنا نخطئ وليس المهم من أخطأ.. المهم من يكون لديه القدرة على الاعتذار..

– امتلأ رأسي بالأفكار والأحلام حتى أصبح جزءًا من حياتي لا

أستطيع أن أتحقق إن كان لي أم لإنسان آخر.. من قبل كنت أفكر بشكل جيد.. وكنت أشاهد التلفاز وأسرح بخيالي مع صوفيا.. الآن فقدت القدرة على التفكير والتخيل.. أصبحت كصفحات عديمة الطعم.. مريم.. إن الحياة لا تطاق..

– يجب أن تتوقف عن التفكير..

غمغمت في يأس:

– ليتني أستطيع..

ثم سألتها:

– أين الجرائد؟

– لا داعي لها.. صحتك لا تسمح بالانفعال..

– هل هناك شيء؟

– ...............

– ماذا هناك؟

في تردد:

– سيد يوسف.. لقد انتحر مختار.. ذلك الرجل الذي زارك مؤخرًا..

– مختار؟! لا.. لا.. هذا كثير.. لكن كيف؟ ومتى؟

وأكملت بالنبرة نفسها:

– ألقى بنفسه أمام عجلات القطار.. وانتهى..

– النهايات تأتي في صخب.. مريم.. ماذا يحدث؟

– سيد يوسف.. هيا.. يجب أن تذهب إلى السرير.. أنت ترهق نفسك وأنت ما زلت مريضًا.. سأتصل بالطبيب.. حرارتك في ارتفاع مستمر.

قمت متثاقلاً – متصدعًا – نحو السرير وعليه تمددت.. اسمعيني.. من فضلك استمعي لي الآن.. صوفيا.. أنا آسف.. آسف.. إنني حقًا لا أعرف ما أفعل.. لا أعرف كيف فعلت هذا كما ترين.. هل تفهمين؟ هل تعرفين؟ أنا.. أفعل.. أقوم بفعل أشياء وألخبط الأمور.. أنا ألخبط الأمور.. سامحيني.. أنا حقًا لا أدري.. *أنت تعرف طبعًا ولا تريد أن تقول الحقيقة*.. ماذا؟ كلا.. كلا.. أنا لا أعرف.. *أنت تستحق الموت وحيدًا جزاءً لك على ما فعلته*.. لا أعرف ما فعلت.. *لا.. أنت تعرف*.. لا أدري ما فعلت.. *يجب أن تعرف أكثر من هذا*.. كم هو صعب أن يفعل الإنسان الشيء الصحيح.. أنت لا تعرف ما وضع الإنسان الذي ينام على

سريره خائفاً.. *أنا آسف لأنني أضع هذا كله على عاتقك.. لكنك لا تؤذي إلا الشخص الذي تحبه*.. أحيانًا يحتاج الناس للمغفرة.. *وأحيانًا* هم *بحاجة لأن يسجنوا*.. ولكن يمكن أن تغفر لواحد من الناس.. *هذا* هو *الجزء الصعب.. كل ما عليك إذًا هو التوسل طلبًا لشيء من الرحمة..* السماء قاتمة وخالية.. ما هذا؟ *إنه ضفدع ميت*.. وها هو واحد آخر.. وضفدع آخر.. وآخر وآخر وآخر.. *إنها تمطر ضفادع..*

كنت أعود إلى وعيي كي أشعر أنني موجود، فأحس بقشعريرة وألم حاد في رأسي، يكاد رأسي ينفجر.. ثم أستغرق ثانية في النعاس..

الآن تمالكت نفسي ولم أعد أسمح لها بالسقوط في النوم العميق.. لكنه كان من الصعب تمامًا بعد ذلك أن أستيقظ وأعود إلى كامل وعيي.. لكني شعرت كيف تناول الطبيب يدي لجس النبض، وكيف قاس حرارتي، وكيف غرس الحقنة.. أتذكر إحساس أنني أحاول النهوض من بئر عميقة.. لكنني أسقط.. أسقط.. أسقط.. لا فائدة.. فالصداع يسكن رأسي كقنبلة موقوتة على وشك الانفجار.. وأقع مرة أخرى في غيبوبة ثقيلة لا نهائية.

*التقيتها.. ابتسمت وقالت: لقد عُدتُ إليك.. كانت هي صوفيا بفستانها الأصفر الصيفي – الملتصق بجسدها التصاقًا شديدًا – وشعرها*

*الأصفر المنسدل في حرية على كتفيها وقدميها الحافيتين.. صوفيا.. لقد اشتقت إليكِ.. قبّلتها بشغف وامتنان.. لا يمكنني إخراجك من مخيلتي فأنتِ صداع نصفي الثاني.. لم أكن أظن أنني أحبك بكل هذه القوة. أشرق وجهها بنور الحب الصافي فبدت كقطعة ماس نادرة.. أمسكتني من يدي وركضنا في الفضاء. كنا نركض بسرعة وخفة.. وضحكتها كانت تضيء الخلاء.. هطل المطر فجأة من دون أي مقدمات فضحكنا وواصلنا الجري والمرح.. كنا كعصفورين يطيران بحرية.. وفجأة سقط الثلج علينا هشًّا وناعمًا.. فواصلنا الركض والضحك.. صوفيا.. ما كل هذه السعادة والمرح؟ قلبي يكاد يتوقف..*

أحرك رأسي فأشعر بألم رهيب وأجد صعوبة في فتح عيني.. فأحاول مرة ثانية وثالثة ورابعة... إلخ.

في النهاية فتحت عيني، رأيت أنني راقد ووجهي نحو النافذة.. كان ضوء النهار لا يزال ساطعًا في الخارج وكانت مريم جالسة على كرسي بجوار سريري فسألتها بصعوبة:

– هل ما زلتُ حيًّا؟

أومأت لي برأسها في قلق.

مسحت على جبهتي الملتهبة بكفها الطرية الرقيقة.. وقالت:

- ستكون بخير.. أنا متأكدة من ذلك.. فقط تماسك وكن قويًّا..

- ما الذي ستفعلينه بعد موتي؟

فأجابت في إبهام:

- لا شيء.. مثلما تفعل أنت بعد موتي..

- هلا قبَّلتني.. ستعني لي الكثير..

- حقًّا؟!

ثم استغرقتُ ثانية في النعاس.

*ها أنت أخيرًا تعود إلى سراديب الحياة.. العالم يبدأ مجددًا.. تستلقي على أرجوحة معلقة بين شجرتين، تحدق في الفراغ.. لكنك لم تلتفت إلى الفروع الميتة العالية لشجرة حية ملتصقة تمامًا بسحب منخفضة والفجر يوثق صوت صراخها، تدفن في قلبك الشمس بعدما أصبت بالجزع والنسيان.*

*كنت أسمع صوت مريم يرتل آيات من القرآن الكريم وكانت تدعو لي بالشفاء.*

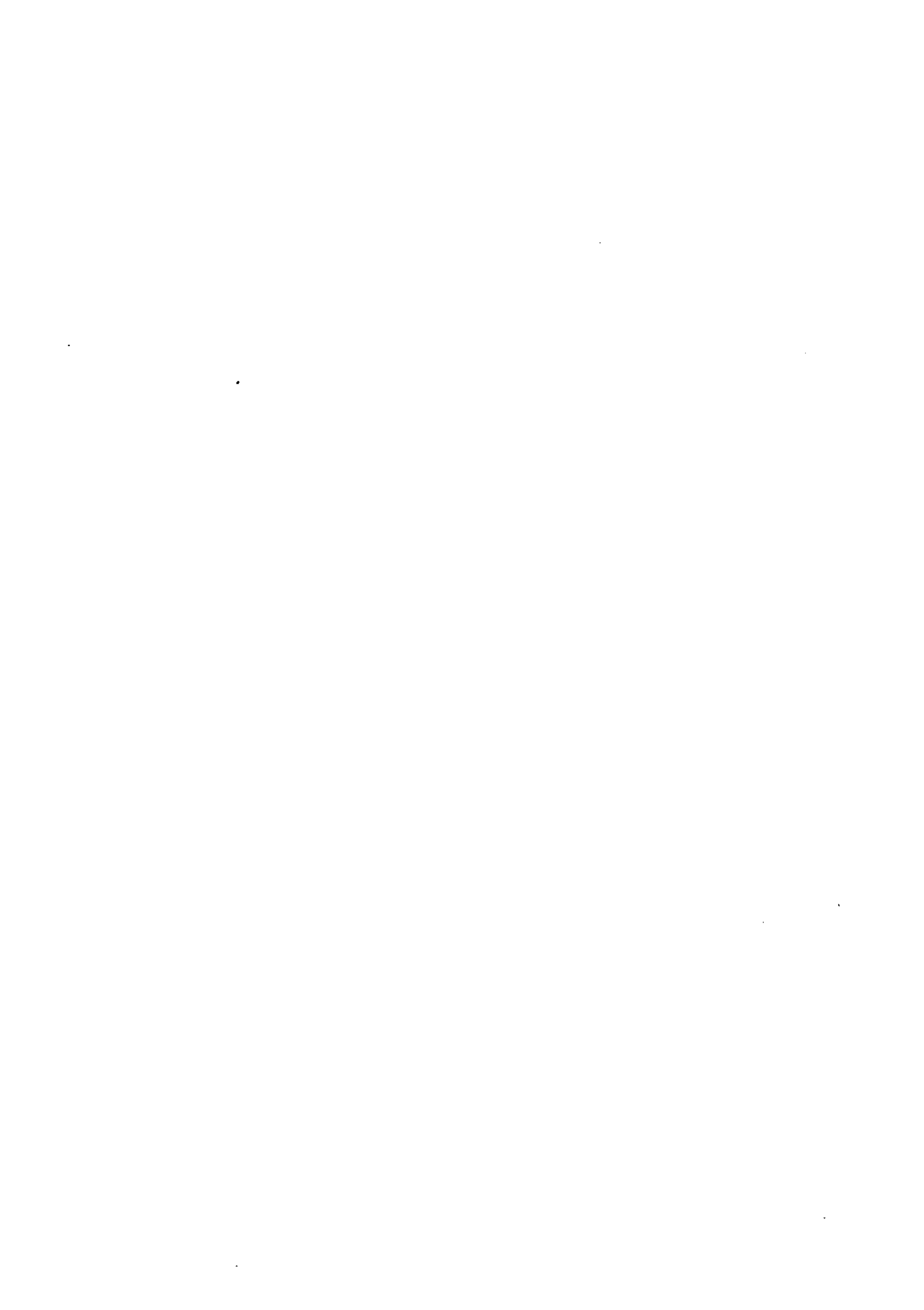
*فكرت أن تتخلص من كل ما تملك وقمت ولم تلتفت أيضًا للورود*

المحنية والحشائش المبتلة وجلست على صخرة اليأس الرنان ممسكًا دمك السائل فوق الورق تنتظر قدرك ومصيرك المعتم وتعلن انهزام صمتك الطويل لتعود إلى العدم مثلما جئت.. أتذكر؟ جئت بلا هوية ولا اسم، أعور لك ساق واحدة وذراع واحدة.. تسير على عكازين بغير دليل أو هدف.. أتذكر؟ كنت تحلم أن تصنع سفينة جميلة كي تسافر إلى حيث تريد وتمضي بفخر تحت النجوم نحو البلاد المجهولة.. وفي الصباح الباكر تساءلت في دهشة: أين أنا؟.. ومت.

* * *

تمت

**2011/2009**



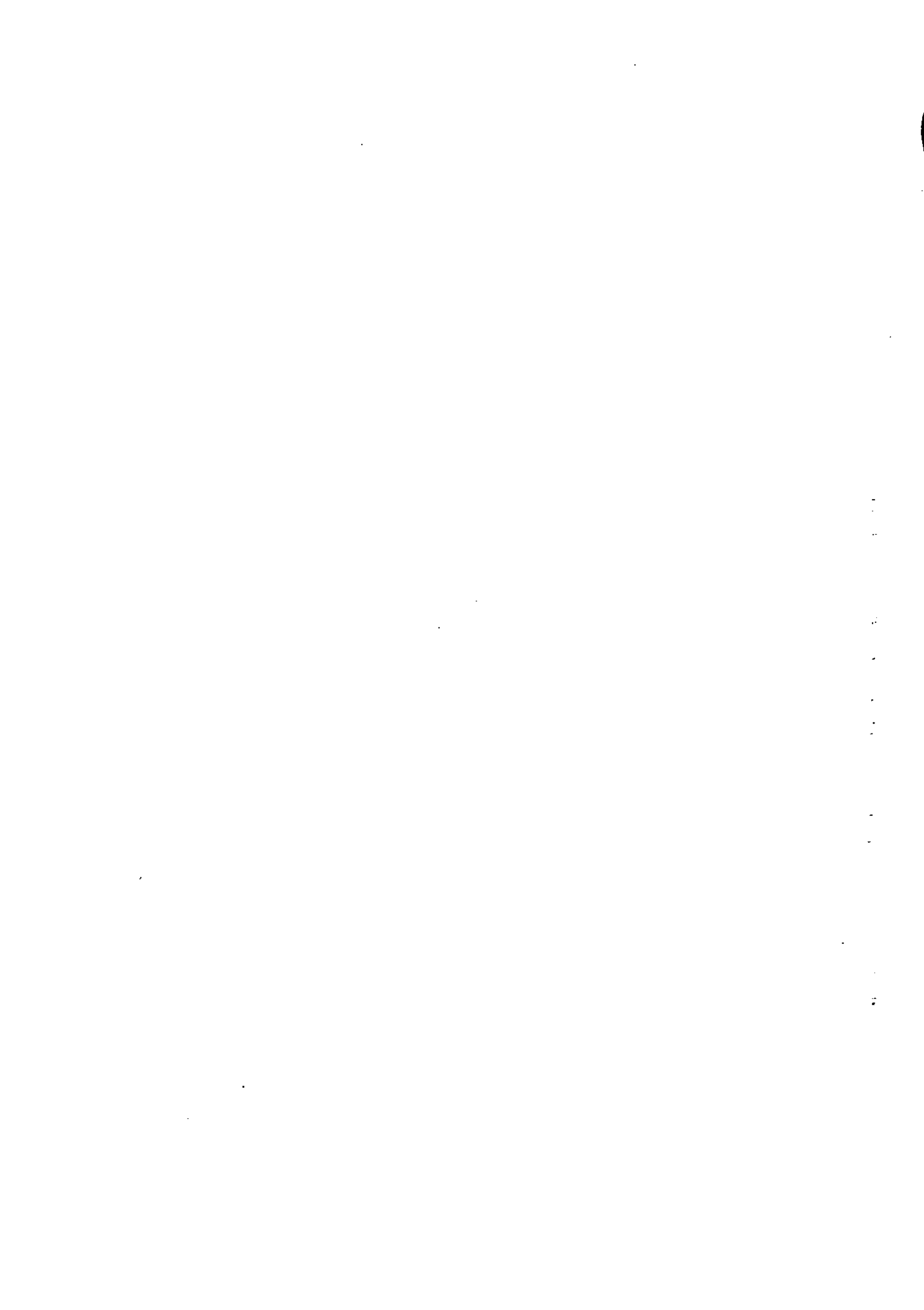
## ملاحظة:

للحقيقة وجه واحد فقط.. ولا يمكن أن يكون لها أكثر من وجه.. وإلا أصبحت كذبًا وافتراءً..

وإذا أردت أن تعرف الحقيقة، فعليك أن تتجرد من عاطفتك، وتنزع عنك كل فكر سابق، وتنظر إلى الأحداث بعين مجردة، وتذكر أنه لا يوجد حادث بلا مقدمات..

*إبراهيم المحلاوي*

Ibra2010@gmail.com



# كل الطرق تدل على يوسف



## إبراهيم المحلاوي

إنني أعترف..

أعترف بأنه كان خطأي..

خطأي الأكثر بشاعة في حياتي الطويلة..

معظم الجرائم بطبيعة الحال تتسم بالغباء والوحشية والعبثية التي تبعث على الأسى..

لكني سأقول..

وسأعترف بجميع أخطائي وما اقترفه الفؤاد من الأماني..

سأقول هذا حتى لو كان بلا جدوى..

كل القنابل كانت جاهزة للانفجار..

إلا أنه تم إبطال مفعولها بصمت..

أعتقد أن الحقيقة هي الشيء الصحيح..

لذلك.. لا توجد حقيقة.. بل عدة حقائق..

لا توجد حقيقة.. بل الفعل هو الحقيقة..

سأقول هذا حتى لو كان بلا جدوى..




مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

**الناشـــر**

